البحث السابع :

" التعددية الفكرية في المجتمع المصري من منظور نقدي تربوي "

إعـــداد :

د / دعاء حمدي محمود مصطفى الشريف
مدرس بقسم أصول التربية
كلية التربية جامعة حلوان

" التعددية الفكرية في المجتمع المصري من منظور نقدي تربوي "

د / دعاء حمدي محمود مصطفى الشريف

- **مستخلص البحث** :

تهدف الدراسة الحالية إلى إبراز طبيعة علاقة التربية بالتعددية الفكرية وهدفها في تعديل مسارات الفكر في المجتمع المصري مشكلة البحث فيما يلي: كيف تسهم التربية في تحقيق الإفادة من التعددية الفكرية لتحقيق غايات المجتمع؟. ومن ثم كانت أهداف البحث: معرفة الأصول النظرية لمفهوم التعددية الفكرية. وتحديد أبعاد العلاقة التبادلية بين العوامل التربوية والتعددية الفكرية في المجتمع المصري. وتحليل انعكاسات التعددية الفكرية على النموذج التربوي للمجتمع المصري . والتوصل إلى النموذج التربوي الملائم للمجتمع المصري في ظل التعددية الفكرية؟ . وقد اعتمد البحث الحالي على منهج التحليل الثقافي، تفيد في عمل تحليل عميق للقضايا المتعلقة بالتنوع الفكري والثقافي والديني في المجتمع، وتؤدي إلى إيجاد نموذج تربوي لإنجاح الإرادة المجتمعية في مواجهة التحديات والفرص التي يتيحها هذا التنوع في إطار التعددية الفكرية، مما ينعكس على الممارسات التربوية في المؤسسات التربوية المختلفة

Intellectual Multiplicity in the Egyptian Society from an Educational critical perspective

Abestract ;

The current study aimed at clarifying the relationship between the education and intellectual to modify the thought's tracks in the Egyptian society. So, the problem can be clarified through the following question: How is education contributes in benefitting from the intellectual multiplicity to achieve the goals of the society? So, the aims of the study are the following:-Recognition of the theoretical foundation of the intellectual multiplicity concept.- Deciding the dimensions of the reciprocal relation between the educational factors and the intellectual multiplicity in the Egyptian society.- Analysis of the intellectual multiplicity reflections on the educational model of the Egyptian society.- Attainment of the suitable educational model for the Egyptian society within the intellectual multiplicity.So, the current research depended on the cultural analysis methodology to do deep analysis of the issues of intellectual, cultural and religious variety in the society to attain a new educational model to help in the success of the societal power to face the challenges and opportunities of the variety within the intellectual multiplicity, which is reflected on the educational practices in the different educational institutions.

- **مقدمة** :

اتسمت الحضارة العصرية بدرجة غير مسبوقة من التطور، ورغم ذلك اخترقت هذه الحضارة الحروب والأحداث غير الإنسانية التي تتناقض منطقيا معها، ويوضح هذا التناقض ما وصل إليه العالم من ازدواجية على مستوى الفكر والفعل، حيث إن ارتباط هذه الحروب بتلك الحضارة يمثل الإشكالية الأصعب أمام الفكر الإنساني، كيف للحضارة التي تتخذ من ثقافة السلام والتعايش أن تصل لهذه الدرجة من التنازع، والواقع أن الإجابة تكمن في طبيعة الفكر، فكل إنسان يسلك سلوكا من خلال منطقه الفكري، فالفكرة هي الأساس، لقد أكد

صعود النازية واندلاع الحروب العالمية أن كون المرء مثقفا لا يمنعه من الهمجية طالما تكونت ثقافته وفق فكر فاسد، مما يوضح أن الفكر الإنساني يواجه إشكالية أخرى ، وهي؛ هل بمقدور العقل أن يدرك عجزه في منع الفكر الفاسد الذي يؤدي إلى الفعل السيئ ،أم أن هذا العقل على تواطؤا مع الهدم a؟

وتكشف قراءة تاريخ البشرية بوضوح عن مدى استغلال القوى الاستعمارية لفكرة الطائفية لتعبئة الشعوب والجماعات البشرية لمحاربة بعضها البعض بدافع الرغبة في التفوق والسيطرة واستغلال الغير. وقد سخرت هذه القوى الكثير من الإمكانات للهيمنة على الآخرين وكان من الممكن تسخيرها للرقي الإنساني والتقدم الحضاري لولا الانقسام الذي أدى إلى انتماءات أيديولوجية متصارعة.

وإذا ما تم الانتقال إلى المجتمع المصري فإنه يشهد تغيرات خطيرة في الآونة الأخيرة، ومن أكثرها خطورة تفاقم الصراع الفكري كسمة واضحة في هذه المرحلة مقارنة بالمراحل التاريخية السابقة ويمثل هذا الصراع بالفعل أحد أهم المشاكل الراهنة التي تواجهها التربية في محاولاتها الإسهام في تدعيم النشاط الفكري والأخلاقي، دون أي إهدار للتراث الثقافي القومي، فهدف التربية إخراج عقلية مستقلة، وفي ذات الوقت عقلية تحضرية اجتماعية؛ بحيث يتم إدماج الفرد داخل (ثقافة) دون أن يعني ذلك تجريده من خصوصياته أو من قدراته الفردية، وأيضا من أجل أن تهيئ الفرد حتى يكون مستعدا للدخول في الآفاق الاجتماعية العالمية التي تشهد توسعا مضطردا وتفتحا مستمرا، فمن الضروري إيجاد الطريقة الفعالة (بالمفهوم التربوي) لتحقيق ذلك، وأن يكون الانطلاق فيها ناتجا عن تعددية الفكر في إطار مجتمعي، وبالتالي الوصول إلى عناصر مشتركة من القيم تستطيع إدماج الجميع ضمن إطار فكري واحد b.

إن التحدث عن تعددية الفكر في المجتمع المصري لا ينطلق من كونها تتعلق بتعددية الجماعات أو المجموعات الصغرى بالمفهوم الاثني بل ينطلق من الفكر المتكون لدى كل فرد على حده، وتمثل التربية في هذه الحالة، المسئول الأول عن هذا الفكر طبقا للنماذج الفكرية التي تستند إليها. وإذا كانت التعددية الفكرية تمثل ثراء لثقافة المجتمع، فإن الإشكالية تكمن في الإفادة من هذا الثراء، وتصبح التعددية هنا هي محل البحث والسؤال - لدى الفكر التربوي- الذي يتحتم الإجابة عليه من حيث: ما طبيعة الفكر الذي يكمن وراء هذه التعددية، وكيف حدثت هذه التعددية، وما الآثار الناجمة عنها؟ خاصة حينما يؤدي ذلك التنوع والاختلاف إلى آثار سلبية تهدد أمن المجتمع واستقراره c.

فالتعددية بمعنى "التنوع والاختلاف" لا تمثل مشكلة في حد ذاتها، ولكنها اتخذت أبعادا جديدة في ظل التطورات الداخلية والإقليمية والدولية التي طرأت في الآونة الأخيرة، وتحديدا منذ مطلع التسعينيات d، حيث أصبح حديث وحدة الهوية مع التنوع الفكري هدفا أساسيا، وبخاصة في الدول النامية الأكثر تعرضا للمؤثرات الثقافية، **والتي تؤدي إلى وجود جماعات متنوعة فكريا، الأمر الذي يطرح إشكاليات حول الوحدة في إطار التنوع، والانسجام في سياق احترام الاختلاف، ومن ثم أصبحت التربية مطالبة بأن تقدم خلفية ثقافية واجتماعية**

تضمن التنوع الإيجابي، وهذا ما يطرح ضرورة دراسة العلاقة بين التربية والتعددية الفكرية تدعيما لإثراء ثقافة بناء المجتمع من ناحية، ودعما لعلاقة الانتماء المشترك في الوطن الواحد e وهذا ما تتناوله مشكلة الدراسة الحالية، التي سيتم إيضاحها بعد تناول الدراسات السابقة

- **الدراسات السابقة** :

تناولت العديد من الدراسات العربية والأجنبية مفهوم التعددية الثقافية، ولكن لم يتم تناول التعددية الفكرية إلا من خلال عدد قليل وفي إطار توضيح موقف الفكر الإسلامي، وهذه الدراسات هي:

- **دراسة بعنوان التعددية الفكرية في الجهاز المفاهيمي الإسلامي**:

هدفت هذه الدراسة تناول البدايات الغربية لمصطلح التعددية وجذوره الفكرية والثقافية، وتعرف أقسام التعددية الفكرية بحسب استعمالها في المجال التداولي الفكري الإسلامي، والمبادئ الحاكمة للتعامل مع التعددية الفكرية بما يتفق والشريعة الإسلامية ، وتوصلت الدراسة إلى: أن مصطلح التعددية ولد في البيئة الثقافية الغربية، التي سادت فيها حروب شرسة على أسس مذهبية وإثنية واقتصادية، وعانت أحقابا طوالا من التسلط والاستبداد الملكي والكنسي والإقطاعي، ثم تبلور لها عبر قرون عدد من الأدوات الإجرائية كونت منها جهازا مفاهيميا خاصا بها، مفصلا على جسدها، وكان من تلك المفاهيم :مفهوم التعددية، كما أوضحت الدراسة أقسام التعددية بحسب استعمالها في المجال التداولي الفكري من خلال مستويين: المستوى الأول :التعددية الداخلية: وهي تنوع المذاهب الفكرية داخل إطار الدين الواحد، ثانيهما: مسائل الاجتهاد: وهي ما لم يرد فيه حكم من الشارع, .المستوى الثاني: التعددية الخارجية: وهي تنوع الأديان وتباينها في الأصول الكبرى، والاختلاف في هذا المستوى ناجم عن الاختلاف في المرجعيات الكبرى بين الديانات، فهي مختلفة في حجية المصادر المقدسة في كل دين، كما أوضحت الدراسة المبادئ الحاكمة للتعددية الفكرية طبقا للشريعة الإسلامية كالتالي:

- مبدأ: اجتماع الخلق على الحق
- مبدأ: ليس كل من خالف في شيء يعاقب في الدنيا
- مبدأ: التعددية إذا أخذت معنى المشاقة تمنع
- مبدأ: أن التشدد في المنع يصنع حالة ممانعة
- مبدأ: توظيف المقامات الدينية جميعا

- **دراسة نظرات حول الوحدة والتعدد في الفكر الإسلامي المعاصر**f

هدفت هذه الدراسة تحليل مفهوم التعددية في علاقته بمفهوم الوحدة في إطار الفكر الإسلامي، ومن ثم تطرقت إلى تناول المفهوم في جذوره الغربية والإسلامية وتوصلت إلى أن نظرة الفكر الغربي تجلت من خلال نظريتين، الأولى: نظرية المركزية الثقافية الأوروبية، الثانية: نظرية النسبية الثقافية، أما النظرة الإسلامية فقد تجلت في نظرية التعارف والانفتاح على الغير، وأهم ما يدلل على هذه النظرة وحدة الإنسانية في الخطاب القرآني . كما تناولت الدراسة مفهوم التعددية في علاقته بمفهوم الوطنية والمواطنة في الإسلام، وتوصلت إلى قيم وتفسيراته الإسلام تثري هذه المفاهيم، وأن الوطنية والانتماء للوطن لا يعني الانغلاق عن الأمة الكبيرة .

وتناولت الدراسة طبيعة المعرفة الدينية، وأوضحت أن أهم ما يميز المعرفة الدينية هو التفاعل الخلاق بين النص والواق، وهو السبب في ديمومة الحياة الإسلامية وخلق قيم الدين الوسطي الاجتماعي، وأن غياب هذا التفاعل يعني الانفصام التام بين النص الإسلامي وواقع الإنسان، وأن مادة وآداة هذا التفاعل هو الفكر والاجتهاد وفق عقيدة وقيم إسلامية ثابتة

- **دراسة التعددية الفكرية والحوار في المجتمع المسلمg**:

هدفت هذه الدراسة إيضاح مبادئ الحوار والفكر التعددي في المجتمع المسلم، وتوصلت إلى المبادئ الآتية:

- الاختلاف سنة ربانية
- الانطلاق من القضايا المشتركة
- تجنب استثارة مشاعر العداء لدى الآخر
- الحوار العقلي والعلمي
- التعاون في المتفق عليه
- التسامح في المختلف فيه
- نبذ العنف

- **التعليق على الدراسات السابقة**:

أوضحت الدراسات السابقة مدى إقرار الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي للتعددية الفكرية وأهمية ممارسة حرية الفكر والتعددية لكن وفق قواعد حددتها الشريعة وفقا لصالح الفرد والمجتمع، ومن ثم استفادت الدراسة الحالية من هذه الدراسات ما يلي:

- مفهوم التعددية في إطار الفكر الإسلامي
- مفهوم التعددية في علاقته بمفهوم الوطنية والمواطنة في الإسلام
- المبادئ الحاكمة للتعددية الفكرية طبقا للشريعة الإسلامية
- مبادئ الحوار والفكر التعددي في المجتمع المسلم

ويركز البحث الحالية على إبراز طبيعة علاقة التربية بالتعددية الفكرية وهدفها في تعديل مسارات الفكر في المجتمع المصري وذلك بطرح النموذج التربوي الملائم، وسيأتي تفصيل ذلك من خلال تناول مشكلة الدراسة.

- **مشكلة البحث** :

يشير الواقع المعاش في مصر إلى وجود تمايزات فكرية في الواقع المجتمعي، ومن أبرز هذه التمايزات التمايز بين الجماعات الفكرية، والتي أدت إلى وجود ازدواجيات عديدة في البنية المجتمعية، يضاف إلى ذلك أن التنوع في مصر تنوع أصيل ومتجذر فيها مجتمعيا وجغرافيا، هذا التنوع الذي امتد بقدم حضاراتها، ولكنه كان نموذجا للتنوع في إطار الوحدة، حيث تولد هذا التنوع والتعدد عن طبيعة مجتمعية عامة بفعل الزمان والمكان، والمشاركة في القيم والعقيدة الدينية وحتى في الأزمات الحديثة والمعاصرة سواء الاقتصادية أو الأزمات الناتجة عن التهديدات الخارجية الاستعمارية، ومن هذه الأزمات ما يشكل خطرا حقيقيا على المجتمع المصري، من حيث ازدياد هوة الخلافات والاختلافات بل وحدوث المواجهات بين طوائف أو جماعات فكرية شكلتها ثقافات مختلفة تحمل مشاعر التعالي والازدراء والكراهية وانعدام اليقين في الآخر h، وتمثل هذه الإشكاليات

إشكاليات تربوية وفكرية في الاساس، حيث تمثل المناخات والظروف الفكرية للمجتمع إلى جانب المناخات التربوية المصدر الأساسي لتعزيز الأفكار، او اضعاف وتغييب أفكارا أخرى لتحقيق مصالح هويات فرعية –قومية او دينية او مذهبية او طائفية.

وقد أشارت أحدى الدراسات إلى أن التعددية الفكرية الطائفية يمكن أن تنتج عن الانفصام بين ثقافة النخبة والثقافة الشعبية، حيث أن التركيز على ثقافة النخبة مع التجاهل شبه التام للثقافة الشعبية، والتي تشكل العقل المصري العام يؤدي إلى فجوات ثقافية ويصبح هذا الانفصام الثقافي أحد جذور التطرف الفكري وظهور تعددية مذمومة مضادة لفكرة التعددية المتضمنة لمعاني الثراء الفكري والتسامح، ومن ثم تولد عن هذه التعددية المذمومة الجماعات الطائفية التي تفرق، وذلك في ظل ابتعاد النخب السياسية والفكرية عن هذه الطائفية أو تجاهلها لها، ومن ثم تعطي الفرصة لهذه الجماعات الفكرية المتطرفة لتنشط، وتصب دعاياتها المثيرة في اتجاه وحدة المجتمع ونقض أسسه وفق قراءة مشوهة للمعتقدات فضلا عن أنها لا تتوانى عن غرس أفكار العنف الهادمة للمجتمع ا

وتجدر الإشارة إلى ازدياد مسئولية التربية خاصة في ظل تأزم مظاهر الواقع المجتمعي الذي يتجلى في محاولات غرس الطائفية الفكرية في مصر مما يؤثر على الهوية الوطنية المصرية ويعرضها لانتكاسة من حين لآخر، والتي ترجع في الأساس إلى التصادمية بين البنى المعرفية والثقافية للتربية في مصر، وسيطرة المنهج الخفي(الفكر غير المعلن) لهذه البنى وتقليديتها واستمرار الذهنية المنغلقة بها والقصور في تعليم ممارسات حق الرأي والاختلاف داخلها وخارجها، نتيجة لضعف ديمقراطية البنية الاجتماعية وسيادة الطرائق التسلطية، والتي تنتج آليات خفية هي المنهج الفعلي الذي لا يمكن أن يتسق أو يتكامل أو أن يصبح جزءا من عملية حوار ثقافي ونقاش فعال يهدف لتقبل الآخر والتسامح معه ، وهنا تتزايد أهمية دراسة التفاعلات الجدلية بين ثنائيات وتعددية النسق الفكري المصري في علاقته بالنسق التربوي والتعليمي من خلال البحث في سمات وخصائص التعليم في ظل فكرة التعددية ، وما تؤدي إليه من تعددية فكرية ا

وفي ضوء ما سبق يمكن صياغة مشكلة البحث فيما يلي:

كيف تسهم التربية في تحقيق الإفادة من التعددية الفكرية لتحقيق غايات المجتمع؟

- **تساؤلات البحث** :
  - ما الأصول النظرية لمفهوم التعددية الفكرية؟
  - ما أبعاد العلاقة التبادلية بين العوامل التربوية والتعددية الفكرية في المجتمع المصري؟
  - ما انعكاسات التعددية الفكرية على النموذج التربوي للمجتمع المصري؟
  - ما النموذج التربوي الملائم للمجتمع المصري في ظل التعددية الفكرية؟
- **أهداف البحث** :
  - معرفة الأصول النظرية لمفهوم التعددية الفكرية.

- تحديد أبعاد العلاقة التبادلية بين العوامل التربوية والتعددية الفكرية في المجتمع المصري
- تحليل انعكاسات التعددية الفكرية على النموذج التربوي للمجتمع المصري
- التوصل إلى النموذج التربوي الملائم للمجتمع المصري في ظل التعددية الفكرية؟

- **منهج البحث** :

سوف تعتمد الدراسة الحالية على منهج التحليل الثقافي، حيث يتميز بقدرته على تناول القضايا والمشكلات الناتجة عن الحركات الفكرية المرتبطة بمكونات البنية المجتمعية كالدين، والجماعات السياسية وتأثيرها على الثقافة والاهتمام بحقوق الإنسان في إطار فكري متعدد، ويتضمن التحليل الثقافي أربعة مداخل رئيسية، المدخل الذاتي، المدخل البنيوي، المدخل التعبيري، المدخل المؤسسي، ويتخذ البحث الحالي من المدخل البنيوي منهجا للدراسة، حيث يركز على دراسة الانماط والعلاقات الثقافية داخل المجتمع، ودراسة العلاقات المنتظمة والقواعد التي تسبغ التجانس على الثقافة خاصة في ظل مظاهر التأزم الفكري في الواقع الاجتماعي والثقافي والطائفي، وما تتعرض له الوحدة الوطنية المصرية وقبول الآخر لانتكاسة k

- **أهمية البحث** :

تأتي أهمية الدراسة من أهمية موضوع الدراسة وهو التعددية الفكرية، حيث تفرض هذه القضية نفسها بإلحاح، نظرا للتحولات والوقائع الاجتماعية في مصر مع تزايد المطالب المجتمعية بتفعيل دور الفئات المختلفة، بالإضافة إلى ما تشهده مصر من تغيرات في جوانب أخرى مهمة كثيرة كالجانب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وحتى على مستوى الفكر المتعلق بالدين، ومن ثم تفيد في عمل تحليل عميق للقضايا المتعلقة بالتنوع الفكري والثقافي والديني في المجتمع، وتؤدي إيجاد نموذج تربوي لإنجاح الإدارة المجتمعية في مواجهة التحديات والفرص التي يتيحها هذا التنوع. في إطار التعددية الفكرية l، مما ينعكس على الممارسات التربوية في المؤسسات التربوية المختلفة

- **خطوات السير في البحث** :

- الأصول النظرية لمفهوم التعددية الفكرية
- أبعاد العلاقة التبادلية بين العوامل التربوية والتعددية الفكرية في المجتمع المصري
- انعكاسات التعددية الفكرية على النموذج التربوي للمجتمع المصري
- النموذج التربوي الملائم للمجتمع المصري في ظل التعددية الفكرية

- **أولا : الأصول النظرية لمفهوم التعددية الفكرية** :

مفهوم التعددية: يعود أصل التعددية في اللغة إلى "عد"، وتعني حسب وأحصى و" عادهُ" معدادا وعدادا: فاخره في العدد وناهضه في الحرب، وعدد" الشيء وأحصاه وعددت" الشيء جعلته ذا عدد" تَعَاد" القوم: عدَّ بعضهم بعضا. "تَعدّدت" صار ذا عدد. والعديدّة": الحصة والنصيب. ويتضح من المعاني السابقة أن الكلمة تعني عدم التفرد، كما تحمل مضامين نفيسة ممثلة في التفاخر والمعادة، وكذلك تتضمن معنى القدم والاستمرارية حتى يعتد بها m

ولا يختلف الأمر في اللغة الإنجليزية حيث تعني كلمة Pluralism أن هناك تعددا وعدم أحادية في الأصعدة المختلفة n

وتحمل مشتقات الجذر اللغوي بعض المعان ذات المضامين الاجتماعية ممثلة في عمليات التفاخر والمعاداة التي تتسم بها المجتمعات البشرية التعددية o

وهذا ما يؤكده تاريخ ظهور مصطلح التعددية حيث بدأ في البيئة الثقافية الغربيةٍ، التي سادتها حروب شرسة على أسس مذهبية وأثنية واقتصادية، وعانت أحقابا من التسلط والاستبداد الملكي والكنسي والإقطاعي، ثم تبلور لها عبر قرون عدد من الأدوات الإجرائية كونت منها جهاز مفاهيمي خاص بها، وكان من تلك المفاهيم: مفهوم التعددية p .

التعددية اصطلاحا: يذهب معجم المصطلحات الاجتماعية إلى أن التعددية تعني: "تعدد أشكال الروح الاجتماعية في نطاق كل جماعة، وتعدد الجماعات داخل المجتمع وتعدد الجماعات نفسها q.

- **خصائص التعددية[٢]**:

- التعددية تعترف بالمجموعات: حيث تعطي التعدديةُ شرعيةً للمجموعات (السياسية والثقافية والعرقية والقبلية والطائفية) وتعترف بحقها في البقاء وممارسة دورها كمجموعة في النظام السياسي للدولة. إنها "اتفاقية تعامل" بين مجموعات وليست بين أفراد مستقلين وغير منتمين.
- التعددية والتنوع إنما يكونا في إطار الوحدة الجامعة والروابط المشتركة فالشرائع المتعددة على سبيل المثال لا تتأتى تعدديتها إلا في الإطار الإنساني العام المشترك، ولذلك فإن التعددية هي تنوع قائم على تميز وخصوصية
- التعددية تحفظ حقوق الآخر: فالتعددية تنطلق من رؤية الذات والآخر في كل واحد وتدفع نحو موقف يعطي للآخر في نفس الوقت الذي "يأخذ" للذات. أما الديمقراطية الليبرالية فتنطلق من مصالح الذات الفردية أو الجماعية أولا، أما الآخر فليتدبر. لذلك فالتعددية هي آلية وقيمة تحول دون اضطهاد أو استقصاء مجموعات معينة في المجتمع.
- التعددية آداة مصالحة وتعايش: في حين تكون الديمقراطية الفرديةُ أداة غلبة (تغليب الأكثرية على الأقلية) تكون التعددية أداة مصالحة وتعايش وفسح المجال للآخر لينسجم في المجتمع الواحد، ولذلك يرى بعض الباحثين أن فرض الديمقراطية الليبرالية في مجتمع جماعي من شأنه جعل مجموعات الأقلية المبعدة أن تلجأ للسلاح والعنف أو جعل مجموعة السلطة المهددة أن تتراجع عن الديمقراطية (كما حصل في الجزائر مثلا).
- التعددية فكر ينبذ التعصب: بعكس التعصب القبلي، التعددية فكر وموقف تتثقف فيها الأجيال على أن تحقيق الذات الجماعية والفردية يتم بموازاة مع ضمان ذات الآخر وحقوقه الجماعية (أنا وأنت معا).
- التعدديةِ آلية تحريك: التعددية ليست آلية تكريس للوضع القبلي القائم بل هي آلية تفاعل وتحرك تمكن الأفراد والجماعات من التفاعل فيما بينها بشكل صحي، وبالتالي الانتقال والتطور دون تغليب طرف على آخر؛ فالحوار الفكري الاجتماعي الدائر في جو تعددي يسمح بالتغيير والتطور أكثر من

الحوار الدائر في أجواء حرب تنفي شرعية الآخر. لذلك فالتعددية نهجا وموقفا من شأنها أن تدفع الثقافة الجماعية إلى الأمامِ نحو شيء جديد منبثق من الماضي والتراث S.

ويشتمل مفهوم التعددية على عدة أنواع:

- **التعددية الدينية** :

وهي تعني التعدد في العقائد والشرائع والمناهج المتصلة بهاِ، وتعني الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء الدِّيني في المجتمع الواحد؛ كوجود اليهودية والنصرانية بالإضافة إلى الإسلام في ظل المجتمع الإسلامي.

- **التعددية المذهبية** :

وهي التعدد المذهبي في إطار الدِّين الواحد، حيث يوجَد تنوع في الانتماء المذهبي في المجتمع الواحد؛ كمذاهب أهل السُّنَّة الأربعة، ومذاهب الشيعة. ومن ثم يشتمل مفهومها على ما يلي:

- الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء المذهبي في المجتمع الواحد
- احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من اختلاف أو خلاف في الفروع، أو غيرها
- إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك في إطار مناسب وبشكل يحول دون نشوب صراعات مذهبية تهدد سلامة المجتمع، ويتضمن مفهوم التعددية المذهبية ضمان حرية التفكير والتعبير المذهبي للجميع والمساواة في ظل سيادة القانون t

- **التعددية السياسية** ؛

وتعني :مشروعية تعدد القوى والآراء السياسية، وحقّها في التعايش وفي التعبير عن نفسها، وفي المشاركة في التأثير على القرار السياسي في مجتمعها U . وتتنوع القوى السياسية فكريا على النحو التالي V:

- اعتقاد كل قوى سياسية تنتمي إلى فكر معين بأنها تمتلك الحقيقة وأن الآخرين على خطأ، مما يترتب سلوك ومواقف من المنابذة والكراهية، وفي بعض الأحيان العنف، وهذا ما يؤدي إلى انغلاق بعض الجماعات الفكرية على أحكام لا ترى فيها إلا ما ينتجه رموزها، ولا تقرأ إلا ما يكتبه أهل دعوتها ولا تتحدث إلا بلغة قادتها
- اعتقاد جماعة ما بأنها على
- حق وتظن بأن طريقة الجماعات الأخرى على باطل وهذه النظرة وأن اشتركت مع المستوى الأول من حيث نظرة جماعة ما إلى ذاتها بوصفها الفرقة الناجية إلا أنها تفتح نافذة على الواقع وتحتمل دخول جماعات أخرى في جبهتها فيما لو تبين لها خلاف ما تظن وهذه النظرة تتأثر غالبا بالظروف السياسية والمناخ الفكري السائد وتحولات الحاضر والمستقبل، فكلما تهيأت الظروف كانت فرص التقارب والانفتاح والاعتراف أفضل
- اعتقاد جماعة ما بأنها على حق، وأن غيرها على حق ولكن طريقتها في الوصول إلى الحق أهدى سبيلا من غيرها، وهذه النظرة تقر بالتعددية المشروطة .

- اعتقاد جماعة ما بأن غيرها على الحق وكنها ترجو أن تكون أقرب إلى الحق من غيرها، وهذه النظرة تمثل ذروة التسامح الفكري وأرقى أشكال الاعتراف بالآخر وهنا تؤدي التعددية إلى إقرار الحقوق الآتية W:
  - ✓ أولا: حق الوجود: ويعني التمايزات الاجتماعية والسياسية في الوجود
  - ✓ ثانيا: حق التعبير: ويعني حق التمايزات الاجتماعية والسياسية في التعبير عن مصالحها والدفاع عن نفسها
  - ✓ ثالثا: حق المشاركة: ويعني حق التمايزات الاجتماعية والسياسية بالمشاركة في إدارة الشؤون العامة

- **مفهوم التعددية الثقافية**:

اختلفت تعريفات التعددية الثقافية طبقا للمجال التي يتم بحثها من خلاله؛ إذ تستخدمها الأنثروبولوجيا للدلالة على جماعات تختلف فيها أنماط الحياة اختلافا كبيرا عن غيرها. أما العلوم السياسية فتستعمل هذا التعبير للدلالة على جماعات ذات اختلافات ومميزات ملحوظة تعيش في مناطق جغرافية محددة وتشكل هذه المميزات الملحوظة قاعدة لقوتها السياسية. وفي تعريف علم الاجتماع فهي رغبة بعض الجماعات في المحافظة على أوجه الشبه فيما بين أفرادها لاعتقادهم أن الصفات والقيم والمعتقدات المشتركة تشكل مصدر شعور الأفراد بالفخر والثقة بالنفس والصحة العقلية والتماسك X.

وتتضمن التعددية الثقافية في ثناياها عصب المشكلة الاجتماعية التي تواجه تكوين العقل الجمعي؛ فإذا كانت الذاتية الثقافية لا تتحقق إلا إذا كان الآخر يعترف بها ويحترمها، فإن المشكلة ترتكز على نوع من العدالة أو المساواة في التواصل بحيث يفرض أحد الطرفين هيمنته على الآخر، بل يكون هناك احترام وتفاهم متبادلين y.

ويتضمّن مبدأ التعددية الثقافية عناصر، مِن أهمها Z:

- الاعتراف بأفراد المجتمع ككيان واحد، بدون علاقة للاختلافات القائمة بين المجموعات المكوِّنة له
- قبول وجود آراء ووجهات نظر مختلفة، والإعتراف بحق المجموعات في أن تعبر عن الاختلافات بينها، والتنظيم في أطر مختلفة؛ لضمان حقوقها والعمل لتحقيق مصالح الأُمَّة .
- الاعتراف بحق مجموعات مختلفة في المجتمع بالاتحاد في مجموعة واحدة.

- **التعددية الفكرية** : **وهي ما سيتم تناولها بالتفصيل فيما يلي**:
- **مفهوم التعددية الفكرية** :

التفكير ميزة بشرية وجهد إنساني كرّم الله به الإنسان سواء في ميدان النظر أو في مجال العمل، والتفكير مرتبط بعوامل عديدة، منها عوامل موضوعية وأخرى مرتبطة بالذاتية، والتفكير وما ينتج عنه من فكر له كيانه ووجوده المستقل المتعدد والمتنوع في مجالاته يقوم على الحرية والإبداع، فالتعدد والتنوع والتطور في الفكر أمور طبيعية لا تسمح بإخضاع الفكر لمنهج واحد أو نمط واحد أو في مجال واحد أو وفق أيديولوجية واحدة، بل التأكيد على طرق الحياة العقلانية لعيش كريم وفقا لفكرة البدائل، وهذا ضد الفكر الميتافيزيقي أن هناك سبيل واحد فقط للحياة a a.

ويقصد بالفكر من الناحية الاجتماعية الفاعلية الجدلية بين الذات والموضوع(الإنسان/المجتمع) ذلك أن الإنسان لا يفكر إلا في مجتمع، وفكر المجتمع هو حصاد تاريخيه (الفعل أو النشاط الاجتماعي في إطار صراع الوجود وإنتاج الوجود) - أي الحضارة- باعتبارها عملية تاريخية قوامها إبداع الأدوات المادية والإطار الفكري/ القيمي في تكامل معا استجابة لتحديات وجودية يفرضها الواقع المتجدد والطبيعة بتفاعلهما مع الإنسان/ المجتمع، وهذا المفهوم يبرز الفكر الإنساني في تعدديته وتطوره عبر الزمان والتنوع في المكان.

وللفكر جانبان: أداتي، ومفاهيمي: فالأداتي يشمل ما يتعلق بأدوات التحليل والنقد ومهارات التفكير، ونحوها، أما الفكر المفاهيمي فهو ضربٌ من البحث في الصلة بين الواقع الثقافي والمنهج. ويتمثل الواقع الثقافي في مظاهرُ ممارساتِ الأفراد المتعلقةِ بالدين والعادات والآداب والفنون والسياسات، ومن ثم يكون هذا الفكر محاولة لصياغةِ رؤيةٍ عن الواقع الثقافي، ووضع تصورًا وحكمًا، من خلال منهج معين، حيث يستخدم المنهج هنا لصياغة وتحليل المفاهيم، ثم لصناعة النماذج التي يتم التعامل مع الواقع على أساسها.

ويتعدد الفكر ويتنوع بتنوع الشعوب والمجتمعات جغرافيا وسياسيا، كما يتنوع بتنوع الثقافات والحضارات والفلسفات والديانات في هذه البيئات، ويتعدد بتعدد مجالات الحياة التي تتميز بالتنوع والتداخل داخل المجتمع الواحد وداخل الحضارة الواحدة ثقافيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا وفلسفيا وعلميا، ويتنوع بتنوع الوعي التاريخي والظروف التاريخية التي تعرفها الإنسانية عبر الحقب التاريخية المختلفة التي تمرّ بها جماعاتها، الأمر الذي أدى إلى أنواعا وأنماطا وأشكالا شتى من التفكير ذات معايير شتى في تصنيفها، يعجز الإنسان عن الإلمام بها جميعا في وقت واحدا b b

ومن ثم فإنه من الضروري أن تقوم فكرة " التعددية" على حقيقة أن لكل فرد في المجتمع حقوقه الفكرية باعتباره فردا وليس باعتباره جزءا من جماعة معينة، وهذا ما ينتج الإبداع، ولكن لا يصح أن تتحول هذه الحقوق إلى آلية لتفكيك النسيج الاجتماعي من خلال غرس التباينات وتقسيم المجتمع إلى تكوينات متباينة يناهض بعضها الآخر، لتحقيق مصالح معينة مثل الاستيلاء على مراكز الدولة ومؤسساتها مما يجعل المجتمع في حالة متهيئة للتناحر أو (الحروب الأهلية).

وتعتبر التعددية سمة اجتماعية إيجابية عندما تتسم بالضوابط الآتية C C:

- عدم تكريس الوضع القائم: فالتعددية ليست آلية تكريس للوضع القائم بل هي آلية تفاعل وتحريك تمكن الأفراد والجماعات من التفاعل فيما بينها بشكل صحي وبالتالي الانتقال والتطور دون تغليب طرف على آخر، فالحوار الاجتماعي الدائر في جو تعددي يسمح بالتغيير والتطوير أكثر من الحوار الدائر في أجواء تنفي فكر الآخر.
- الاعتراف بأنّ أصحاب الأفكار المختلفة مُرَكَّب هام وجزء لا يتجزأ من المجتمع؛ حيث يَتِمُّ الحوار معهم حتى تعي كلُّ مجموعة بحقوقها.

- التعرف على الآخرين في المجتمع؛ من حيث الأفكار والاحترام المتبادل بين الجماعات الفكرية في المجتمع الواحد، وتطوّر النقد الذاتي والتحقيق الذاتي للفرد في المجتمع.
- الموازنة بين الجماعات الفكرية المختلفة في المجتمع في الحقوق والواجبات، وإعطاء فرصة جديدة تضمن وتحقق الحريات المنضبطة واحترام الحقوق، والمكانة على أساس الكفاءة.
- المساعدة على تفعيل الطاقات الإبداعية المتوفرة لدى الشباب، وذلك من خلال تربية تحليلية نقدية لفكر الشباب تساعدهم على تحليل ونقد مكونات الفكر، مما يضمن ثراءه والارتقاء وهذا يتطلب توفير الظروف الملائمة لمساعدة المبدِعين على تثبيت موقعهم في المجتمع ليصبحوا مؤهَّلِين للاعتماد على ذاتهم.

ومن أهم السلبيات التي يمكن أن تنتج عن التعددية الفكرية إذا لم تتسم بالضوابط المذكورة ما يلي:

- التعددية يمكن أن تؤدي إلى تفكيك المجتمع، والقضاء على وحدته ووحدة النسيج الاجتماعي بداخله، ومن ثم يمكن أن تؤدي إلى عدم استقرار اجتماعي والفوضى الاجتماعية؛ بسبب الابتعاد عن الإطار المشترك" d d:
- انحراف التصورات العقدية
- التدافع الحضاري والهيمنة الثقافية
- العصبية العمياء والمنهج التحريفي
- الولاء المطلق مع انعدام الموضوعية
- الأحادية في الرأي مع العدوانية في الخلاف
- إساءة الظن وبث الشائعات

- **ثانيا : العوامل الثقافية والتربوية وراء التعددية الفكرية في مصر:**

يستدعي تحليل العوامل الثقافية والتربوية التي تقف وراء التعددية طرح فكرتين مرتبطين: الأولى: كيفية تكوين الفكر بمعنى التأثير المتبادل بين الشعور واللاشعور في تكوين الفكر والثانية: القواسم المشتركة، اذ انه لابد ان يكون هناك إطارا جامعا، للأفكار والتوجهات والانتماءات المختلفة مذهبيا وطائفيا، وكذلك المصالح العامة التي تتداخل مع المصالح الخاصة، أو التي تكون لها الأولوية في سلم الاهتمامات والأولويات، ويصبح حدوث الخلل في تكوين الفكر والابتعاد عن القواسم المشتركة هو أساس تعددية الفكر الغير مرغوبة، والسؤال المهم ما العوامل الثقافية والتربوية التي أثرت هنا على تكوين الفكر والقواسم المشتركة؟ هذا ما سيتم تناوله فيما يلي:

أولا: تكوين الفكر (التأثير المتبادل بين الشعور واللاشعور): يؤكد البحث الحالي على أهمية هذه النقطة في التحليل، وذلك لأن من خلالها يمكن التفرقة بين الفكر كمعرفة والفكر كمعتقد، المعرفة هي العنصر الأساسي للحضارة، وهي العامل الكبير في ارتقائها المادي، وأما المعتقد فهو الذي يرسم وجهة الأفكار ومن ثم وجهة السير، ومصدر المعتقدات اللاشعوري واللاإرادي هو الذي يمنحها قوة التأثير الفاعلة e e. ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع للفكر اللا شعوري:

النـــوع الأول: هـــو اللاشعور الفســـيولوجي المســـيطر علـــى جميـــع النـــواحي الفسيولوجية، من غير أن نقدر على إدراك عمله.

والنـــوع الثـــاني: هـــو اللاشعور الوجـــداني ويـــتم تكوينـــه بعد تكوين اللاشـــعور الفسيولوجي، وعلى الرغم من كونه يمثل جزأ أصيلا ومهما إلا أنه أقل رسوخا في الشخصية، وهو لا يكترث بالمعقولات ولكنه يؤثر عليها، وهو ما ينعكس على النوع الثالث اللاشعور الذهني.

النوع الثالث: اللاشعور الذهني: وهو لا يمثل أيضا جزأ أصيلا في اللاشعور ولكنه يصبح على درجة عالية من الثبات بفعل الوراثة بحيث تنشأ عنه سمات تنتقل بالإرث؛ وذلك ما يبدو من خلال الأهواء والأغراض، أي أن الأفكار المتكونة هنا والمرتبطة بالسمات تصبح جزأ من شخصية الفرد، وبالتالي تصبح عظيمة التأثير على الجانب الشعوري، وهذا سبب كون كثير من الأفراد على جانب كبير من الفطنة والصواب في كلامهم ومؤلفاتهم، ولكنهم في نفس الوقت يسلكون بشكل خاطئ في سيرهم وتصرفاتهم وكأنهم آلات متحركة، وذلك بفعل اللاشعور الذهني، وهذا م يؤكد أن الجانب الشعوري والذي يمثله العقل الواعي ليس العامل الأهم في تكوين الفكر لدى الأشخاص، بل أن اللاشعور يعد عاملاً مماثلا في الأهمية في تكوين الفكر، والتأثير بقوة في الشخصية بكل مكوناتها.

ومن ثم يمكن استنتاج العلاقة الوثيقة بين المنطق الوجداني (الناشئ عن اللاشعور) والمنطق العقلي(الشعور)؛ وكيف ترتبط الأخلاق بالمعرفة، وبالتالي فأن التربية في أحدي تعريفاتها تعني إدخال الشعور إلى اللاشعور، والمقصود بالشعور هنا هو الأفكار والأخلاق المقصودة، وتصبح المسئولية الأولى للتربية هي غرس الأخلاق الجامعة في اللاشعور، بمعنى أن تصبح هذه الأخلاق الجامعة جزء من الشخصية، فالتربية إذا استطاعت أن تحدث لدى الأفراد أفكار موحدة في القضايا الجوهرية فإنها تضمن مصير مستقر للمجتمع f f.

ولكن كيف تتم عمليات التواصل العقلي بين اللاشعور والشعور من خلال التربية:

إن التعامل مع الفكر التربوي المعاصر يمثل لقاء بين عقل جمعي عام يمارس في المجتمع، وبين عقل جمعي خاص على مستوى الفكر، حيث تركز التربية على إبراز السلوك المفضل لدى الناس عن طريق عملية بناء المعتقدات والقيم والاتجاهات، في حين إن وسائل الفكر التربوي معنية بالتعامل مع رموز وقضايا مجردة، وهذه الوسائل ترتبط بالواقع ولكنها ليست الواقع نفسه، بل تمثيلات أو نماذج لهذا الواقع كما يتناوله العقل من خلال بنيته الذهنية العميقة، وهذه النماذج لا يمكن أن توصف بأنها تعبير كامل أحاط بكل جوانب الذوات أو الظواهر أو الأشياء أو الحالات التي تعبر عنها، وإنما غالبا ما تواجه واقع ملتبس وغامض يحاول العقل الإنساني أن يَجِدّ في اكتشافه، ومعرفة مكنوناته. ومن خلال هذا التفاعل النشط يصل العقل المفكر إلى صورة ذهنية لا تطابق الصورة الواقعية بل تتخطاها وتضع لها التصورات المقترحة وبذلك فهي بمثابة نسيج عقلي يتم إنشائه وصياغته بناءا على الخلفية الذهنية، والخبرات والوعي

بالذات، وهنا يتضح تأثير التربية؛ حيث أن الخلفية الذهنية والخبرات والوعي جميعها تمثل أثر التربية.

والعمليات التي تحدث في التواصل العقلي موضوع لكثير من الأبحاث التي تدور في فلك النظرية البنائية Construction ونظرية تشغيل المعلومات Information Processing وعلم نفس المعرفة Cognitive Pathology ولا يتسع المقام هنا لرصد عمليات التواصل العقلي من منظور كل نظرية أو علم، وإنما يمكن رصد العمليات العامة التي يمارسها عقل الفرد (الشعور واللاشعور) والتي يمارسها عقل الفرد في تواصله مع المؤثرات الخارجية سواء من خلال تفاعله مع الآخرين أو من خلال قراءة مادة جديدة ، أو الاستماع إلى حديثٍ مباشر، حيث أن عمل العقل عند إعمال الفكر هو عمل ممتد منظم ، منتجا يسير في حركة دائرية دينامية مفتوحة، ويمكن ربط هذه العمليات بما يحدث للعقل التربوي وما ينتج عنه من فكر على الوجه التالي:

- عملية الاستكشاف: وهي أكثر المعالم أهمية، وفيها يتطلع الفكر لكل المعتقدات والمقاصد التربوية؛ وتحدث عمليات التفاعل الفكري إلى أن يصل العقل فجأة إلى عملية الاكتشاف التي يسعى إليها وتستند هذه العملية في تفسيرها إلى النظريات الحدسية
- الاستيعاب والتمثيل: والاستيعاب عملية أعم وأشمل من الفهم، ومن مقتضياتها الإحاطة بكل جوانب الموضوع المطروح، المضيء منها والمظلم على حد سواء. وسبيل ذلك قراءة هذا الفكر في مصادره الأصيلة الموثوق بها، والكشف عن دلالاتها الفردية والاجتماعية والمهنية والإنسانية، وتفسيرها في ضوء البنى المعرفية / الذهنية. وينتج عن هذه العملية زيادة كمية في حجم البنية الذهنية التربوية، ولكنه لا يغيرها.
- المواءمة: المواءمة في نظر »بياجيه» بمثابة توأم العملية السابقة، «الاستيعاب والتمثل»، وتعني أن الزيادة الكمية التي حدثت من خلال عملية الإحاطة والاستيعاب السابقة لا تغني عن المدركات والتصورات والمفاهيم والأفكار التي تم إدخالها في العملية السابقة على الحال الذي دخلت به، وتقوم عملية المواءمة بتنقيتها وتصفيتها، وتسلط عليها موجات عقلية ينتج عنها تغييرات كيفية في البنى المعرفية للعقل، وهذا ما يحدث على مستوى الفكر التربوي، تتمثل في توليد معارف ومفاهيم وممارسات جديدة أو تصحيح معارف قديمة خاطئة أفضى بها استيعاب الفكر.
- عملية «التكامل التمايز: ويمكن أن يطلق عليها عملية «التعميم _ التخصيص» وفيها يسعى التربويون بصورة تلقائية وعقلانية حرة إلى تجريب أو تبني بعض مقولات ونماذج الفكر والممارسة التربوية. ومن أمثلة جانب التكامل في هذه العملية أن العمليات العقلية لا تؤدى وظائفها في ترتيب خطى تبدأ بالاكتشاف وينتهي «بالتكامل التمايز» ويأتي عرضها على هذا النحو الرأسي كان الدافع إليه تيسير الفهم حيث إنها عمليات «دينامية» يؤثر بعضها في بعض، وإنها تحدث متواكبة ومتزامنة ولا يمكن القطع أين ومتى تبدأ أية عملية. ولا يمكن أن تحدث عمليات التكامل والتمايز دون أن تحديد ومعرفة القواسم المشتركة.

وهذا ما ينقل التحليل هنا إلى مفهوم القواسم المشتركة وما يتعلق بها من عوامل ثقافية وتربوية:

يعد مفهوم القواسم المشتركة، من المفاهيم التي تحتاج إلى فترات ومراحل زمنية مختلفة حتى يتبلور ويتكامل وهو شرط للعيش والتعايش السلمي، ويؤكد العديد من علماء السياسة والاجتماع، أنه من دون القواسم المشتركة لا يمكن أن تكون هناك نقاط التقاء بين مكونات الفكر الاجتماعي، التي تشكل بدورها أرضيات موائمة للعيش والتعايش السلمي، ونبذ خيارات العنف والقوة والتصادم غير المجدي .ومن أهم هذه القواسم المفاهيم والأخلاقيات والسلوكيات والقيم الاجتماعية، وهذه القواسم المشتركة هي نتاج العوامل الثقافية والتربوية: حيث توصف التربية بأنها نسق ثقافي يقوم بتحديد السمات المشتركة لتحقيق عملية التواصل والتي شأنها ضمان تواصل الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد، وبالتالي تواصل وتكامل أفكارها المختلفة على مستوى الدلالات والمصطلحات والمفاهيم بين ذوي الثقافات المختلفة، وأي خلل في حدوث هذا التواصل والتكامل يؤدي إلى اهتزاز قيم وقواعد المجتمع.

وفي المجتمع المصري هناك مؤثرات ثقافية عديدة أدت إلى ظهور العديد من الظواهر السلبية في المجتمع المصري وأهمها: ظاهرة التطرف عند بعض أفراد المجتمع، والتي تشكلت نتيجة الانحراف فكري عن الوسطية والاعتدال، وأدى هذا المنهج المنحرف فكريا إلى تحول البعض إلى ممارسة الإرهاب الفكري والجسدي تحت شعارات ومسميات متعددة ، ومن ثم فأن الفكر المصري، والعربي في حاجة ماسة إلى حراك من الداخل يقيم جدليات معتمدة على مناهج البحث الموضوعي والعلمي بغية إحياء التراث ومعايشة الحاضر واستعداد للمستقبل؛ فالهوة الحضارية في حقيقتها هوة فكريةgg، والقضية هنا هي ما سبل تخطي هذه الهوة؟ وكيف يمكن التأثير على مكونات ومفردات الفكر المصري؟ وكيف يمكن تفعيل أدواته وإمكاناته؟ وهل يمكن تعديل بنية هذا الفكر؟ والبحث الحالي محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات، ومن ثم تتضح ضرورة تناول أهم العوامل الثقافية التي تناهض الحراك الفكري المقصود، وكيف أسهمت العوامل التربوية في إيجاد الهوة الفكرية:

- الأصولية: يمكن إيضاح موقف الأصولية من التعددية على النحو التالي:
  - ✓ أن هناك حضورا للآخر في الثقافة الأصولية؛ ولكن هذا الحضور من قبيل نفيه ووجوب مواجهته ومعاداته والعمل على إلغائه وإقصائه، ليس فقط من المعادلة السياسية برمتها وإنما أيضا من الوجود، وذلك - مرتبط بـ - ، ومترتب على، صورة هذا «الآخر» لدى الأصولية من حيث إنه لا ينفك عن تخريب معتقداتها وثوابتها والمؤامرة عليها.
  - ✓ اتهام الآخر: حيث إن الفكر الأصولي لم يتجه لنقد ذاته وفحص آلياته والعمل على تصحيح مداراته الثقافية ومواكبة متطلبات العصر، وإنما على العكس من ذلك تماما اتجه هذا التيار نحو تعزيز أدبياته الماضوية ونصوصه التراثية لمواجهة ما يعتقد، وهو أن «الآخر» قد أتى للإتيان عليه وإقصائه ونسف وجوده. ولعل ذلك هو ما أوضحه محمد أركون في أحد كتبه بـ «الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي«

فبفضل هذه المعتقدات الفكرية المناهضة النافية للتعددية لـ«الآخر»، فكرا ووجودا، بكافة تجلياتها السياسية والدينية لم تستطع تيارات الأصولية الإسلامية استثمار التعددية الثقافية المعاصرة في بناء منظومة من التجاذبات الفكرية التي تؤمن لها التواصل المثمر مع «الآخر» دينيا وسياسيا ومذهبيا.

- ✓ تحويل الفكر إلى دين، وذلك من خلال إعادة تفسير الدين وتقديم قراءات للواقع من خلال هذا التفسير الذاتي وجعل الدين حكرا على أفكارهم، وتخطي ذلك إلى ما هو أكبر من خلال «تسيّس الدين». ومن ثم تحولت الأصولية السياسة في بنيتها إلى ممارسة دينية، ومن ناحية أخرى، تسعى الحركات الأصولية إلى تناول التعاليم الدينية بحيث تبدو أكثر الأمور بعدا عن طبيعة السياسة واقعة في خضمها بفعل التوظيف الدائم للنصوص خارج سياقاتها التاريخية والمعرفية. أي أن الأصولية تمارس السياسة كدين والدين كسياسة منطلقة من قناعة تامة بأن استخدام السلطة السياسية في خدمة الفكرة الدينية واجب ديني وأن من يرفضها يدخل دائرة الكفر hh.
- ✓ وعلى مستوى الفكر الأصولي التربوي فإنه ينقسم إلى:
- ✓ الفكر الأصولي المتطرف: وهو الذي يرفض الآخر تماما ويشكك في جدوى الفكر والبحث التربوي الغربي في إفادة الفكر التربوي العربي
- ✓ الأصولية الوسطية: ويرى أصحابها أنه لا ضرورة لرفض الفكر التربوي الغربي أو تغييبه بل تناوله بعقلانية وموضوعية للاستفادة من الخبرات والتراث العالمي بالمعايير الأصولية التي تحقق المعادلة الطبيعية والحضارية في تربية شخصية عربية قوية دون خوف أو انغلاق

◄◄ الفراغ المعرفي: أن المعرفة هي نقطة الانطلاق لإجماع الثقافات، وحينذاك تنفتح الإقصائية على قبول تعددية المسارات التي توصل إلى العلم الذي يتعالى عن كل فهم وتعريف i i ولذلك يجب أن تنصب جهود التوصل إلى الحكمة على أنواع المعرفة الأشد رسوخا واتصالا بالواقع المجتمعي مثل المعرفة الإدراكية للعالم الخارجي، ومعرفة الآخر، والمعرفة السياسية، والمعرفة التقنية، وأخيرا معرفة الحس السليم (التربية)، هذه هي الميادين التي يمكن أن ترتبط بالواقع مثلما ترتبط وتحتاج إلى استقراءات تاريخية ملموسة j j حيث إن الأفكار هي بمثابة كائنات حية تقبل الجدل مع المجتمع والأشخاص والنظم، واللغة، والعلاقات، والمتغيرات، التاريخ، المستقبل، مؤدية لوظيفة ارتقائية تبدأ بأحداث تغيرات ملموسة في البنية الذهنية، وتعمل على تأكيد الفوارق المعرفية وتدفع نحو بلوغ التطلعات والمطامح الثقافية وإذا كان تاريخ الجنون هو تاريخ الحضارة بمعنى إقصاء النمطية وقذف الرتابة والتمسك بالشطح الفكري المؤدي لقفزات تختزل فترات الركود والتراجع فإن الإبداع هو حصاد التنازع الفكري والخصومة الثقافية والثراء المعرفي المنتج لرؤى ونظريات وتوجهات عقلية يحال وجودها في إطار ما اصطلح على تسميته بثقافة السكون أو الجحيم الثقافي k k، ومن دلائل هذه الثقافة السكونية:

- ✓ أن حلول المشكلات تتم كرد فعل وليست كمبادرات أو استشراف للمستقبل، للعمل على عدم وقوع مثل هذه المشكلات .

- ✓ أن حلول المشكلات حلولا جزئية ووقتية لا تتعمق في البحث عن جذور المشكلة وحلها حلا شاملا
- ✓ أن العالم يتغير بسرعة كبيرة ولكن محاولات التطوير محاولات ليست متصلة أو مبنية على أسس راسخة وهناك أمثلة على ذلك كثيرة مثل فكرة الأمية الأبجدية
- ✓ أن كثيرا من أساليب التنشئة الاجتماعية قائمة على القهر، والتسلط، والطاعة العمياء، لا أن يتعلم الفرد كيفية الانتقاء والاختيار من بين المتغيرات والثقافات المتعددة المطروحة في الثقافات المتعددة بما يتناسب مع قيمه وعاداته وتقاليده بحيث يستطيع التمييز بين المتباينات

- ◄◄ الوعي الزائف والمحدود: الوعي هو معرفة المرء بوجودهِ وإدراكه لأفكاره ومشاعره، وحين تتسع دائرة وعي الإنسان يصبح مدركا لمحيطه، وزمانه، ومدركا للفرص والتحديات والإمكانات المتوفرة في ذلِك المحِيط، ومِن المهم التأكيد على أن وعي الإنسان بكل ذلك يظل منقوصا ونسبيا، وقابلا للجدل والمراجعة...إن الوعي البشري سيظل يعاني من شيء من الأسر، وشيء من الحيرة والارتباك، ويمكن إدراك مدى وطأة تلك المعاناة بعرفة أن على الوعي نفسه أن يحرر ذاته من القيود التي صنعها، ويصنعها لذاته ا ا ويتكون الوعي من ثلاثة عناصر: العنصر الأول العنصر الإدراكي :ويضم مجموعة القيم والأفكار والمبادئ التي تساعد في الإدراك الموضوعي للعالم المحيط بنا وما يتضمن من مكونات.
- ◄◄ العنصر الثاني القيمي : وهو الذي يضم مجموعة القيم والأفكار التي تساعد في التفضيل بين الأشياء، العنصر الثالث الوجداني :وهو الذي يساعد في تشكيل الاتجاهات السلبية أو الإيجابية نحو العالم المحيط بنا أو مكوناتهmm

أما العوامل التربوية التي أسهمت في إحداث التعددية الفكرية يمكن تناولها فيما يلي:

- ◄◄ التبعية التربوية الناتجة عن:
- ✓ التغييرات التي أدخلت على نظام التعليم المصري: والتي تمت بعيدا عن قيم المجتمع ومثله وتراثه وهويته الثقافية، ولم تعنى باحتياجات البيئة المحلية أو العالمية، كما أن محتوى التعليم وطريقة التعليم تقوم على التلقين والاستظهار، مما أدى إلى إلغاء وظيفة العقل وجعله مخزن المعلومات والابتعاد عن المنهج العلمي
- ✓ تعاظم المؤثرات الخارجية (الثقافية والاقتصادية) تؤثر تأثيرا مباشرا على التعليم وتؤدي إلى غياب التوجهات الفكرية أو المشروع الذي يعكس هوية المجتمع وأهدافه، واتباع التقليد والاتباع وافتقاد التناغم والتناسق بين إصلاح التعليم وغيره من النظم

- ◄◄ التباين في الأطر الفكرية للبحث التربوي دون وجود أساس موحد للحركة الفكرية والبحثية التربوية مما أدى إلى عدد من الآثار السلبية، من أهمها n n:
- ✓ تغريب البحث التربوي وانعزاله عن السياق الاجتماعي وفقدانه للمقومات الثقافية والتاريخية للأمة.

- ✓ زيادة التعدد والتداخل المفاهيمي فقد يصعب إيجاد اتفاق أو تفاهم حول المصطلح الواحد.
- ✓ تعدد وتشابك العوامل المؤثرة في الظاهرة التربوية مع صعوبة عزل العوامل الذاتية.
- ◄◄ الموقف التربوي البعيد عن الفكر والمفكرين، ويتجلى هذا الموقف في بروز القيادات العلمية بخلاف الرموز الفكرية، ما يجعل المربي يستحضر أهل العلم، دون أهل الفكر وروّاده، مما ينتج عنه ضمور التصور عن حقيقة الفكر ومجالاته، وهذا تسبّب في تحييده عن حيز النظر والبحث وعن ربطه بالمجال التربوي.
- ◄◄ إخفاق التربية في الاستفادة من أوجه الاختلاف المتعددة، ومنها:
- ✓ اختلاف القدرات الإنسانية: يختلف الناس في قدراتهم العقلية بما يترتب عليها من قدرة على إدراك وتحليل الموضوعات ودراستها واستخلاص النتائج منها، و يؤدي هذا إلى اختلاف الرؤى والأفكار.
- ✓ اختلاف التخصصات العلمية: حيث ينظر كل فرد إلى الظاهرة أو الموضوع من زاوية تخصصه وتكوينه العلمي مما يؤدي إلى اختلاف وتعدد الأفكار والآراء.
- ✓ اختلاف الثقافات: ينشأ الأفراد في ثقافات متباينة المعتقدات والقيم واللغة والعادات والتقاليد والتشريعات، ويترتب على ذلك التباين والاختلاف، وهذا يتطلب ما يلي:

- ضرورة تغيير أساليب التعليم فيكون إنسانيا في طرحه ليواكب التسارع الحادث في التغيرات الثقافية المحيطة.
- التركيز على شخصية المتعلم وتعزيز القدرة على الإبداع والتواصل على الصعيد العالمي والوطني والإقليمي، لا سيما من خلال اعتماد شراكات بين القطاع العام والخاص والمجتمع المدني، انطلاقا من توجُّه يقوم على التأصيل والانفتاح، ضمن ضوابط الرقابة والمحاسبة، والدعم العادل.
- تعزيز التلاقي والتفاعل الثقافي بين المبدعين في الدول الإسلامية ونظرائهم من البلدان الأخرى، ودفع حركة الإبداع وضمان المشاركة المتوازنة للمبدعين في مختلف الأنشطة الثقافية.
- رعاية المواهب في فئات الأطفال والشباب، والعناية بالمادة الثقافية الموجّهة لهم من حيث المضمون والوسائط التربوية والثقافية المستخدمة، بما يضمن تهيئتهم وتمكينهم من أدوات التحصين الذاتي، ويُسَهِّل اندماجهم في مجتمع المعرفة، وتدريبهم على استثمار الذكاء وتوظيفه.

- **ثالثا : صور التعددية الفكرية في المجتمع المصري:**

تتمثل نماذج التعددية الفكرية فيما يلي:

- **التعددية الدينية:**

يعد التيار الفكري الديني من التيارات المتجذرة في المجتمع، ويتضمن في داخله عددا من التيارات الفرعية، ولا يرجع هذا التجذر من جدة الاجتهادات الفكرية لهذا التيار، وإنما من ملابسات موضوعية عملية أبرزها الهزيمة الحضارية، والتراث التاريخي والفولكلوري المتجذر في واقع الخبرة الحية لجماهير الأمة العربية؛ وهو لهذا يكاد يتحرك بدوافع وبواعث من الذات الاجتماعية المستقرة

الكامنة، فضلا عن أنه بدوره يحركها ويثيرها في مواجهة ومعارضة الجديد والغريب والأجنبي والمختلف والمغاير والثوري O O

• **التعددية المعرفية** :

مع التحول الاجتماعي وما تبعه من تحول ثقافي وفكري وما تميزت به المجتمعات المعاصرة من أنها مجتمعات معلوماتية فقد تميزت أيضا بكونها مجتمعات تعددية؛ حيث استبدلت الفردية بالولاءات المعرفية والثقافية والدينية والأثنية، وقد ساعد انتشار تيار ما بعد الحداثة على تعزيز التعددية المعرفية، ويرجع ذلك إلى صفة النسبية في فلسفة ما بعد الحداثة، وتأكيدها على المساواة بين الجماعات، وترسيخ فكرة نقد الذات عبر التخلص من المركزية الغربية وانتهاج فكرة العمل لصالح المضطهدين، التي سعت ثقافة الأكثرية المهيمنة إلى استيعابها ودمجها قسرا إبان مرحلة الحداثة، وهذا البناء الفكري أدى إلى ظهور التعددية الثقافية بمظهر الضد تجاه المعتقدات الثابتة والليبرالية والشعور القومي للأكثرية والمواطنة والحقوق الفردية، وقد تخطت التعددية الثقافية مجال الأبحاث والدراسات الثقافية والفلسفية إلى الجوانب التربوية والتعليمية، وذلك لإحداث تغيرات عميقة في طريقة تفكير المجتمعات وتعاملها مع الأقليات ومن البديهي ألا يأتي تحليل مختلف الأوضاع، ومختلف الحلول المتبعة لمعالجة الصعوبات . ومع تزايد أشكال الاتصال بين المجتمعات تزايدت فرص التفاعل والتأثير المتبادل بين أفراد المجتمعات رغم اختلاف انتماءاتها وخصائصها الثقافية وأوضاعها غير المتكافئة.

ومهما يكن، فقد أدت أشكال التفاعل والتأثير وتبادل الخبرات والمعارف التي ما كانت تزداد كثافة وتنوعا بين الأفراد والشعوب المختلفة إلى نمو المعرفة الإنسانية بصفة عامة وانتشارها وتشعبها وتعدد مصادرها وتنوع مفاهيمها وتصوراتها وفوائدها، حيث تمكن الأفراد من التعرف على أهم الخصائص الحضارية المميزة للمجتمعات البشرية وطبيعة الأفكار والمعتقدات السائدة فيها.

لقد شكل هذا التفاعل البشري المتعدد الجوانب الإنسانية والتأثيرات الحضارية، البوتقة التي انصهرت بداخلها الأفكار الإنسانية وتبلورت بطريقة تنتج عنها نمو الأفكار الإنسانية الفاضلة والمعبرة بصدق عن أسمى القيم والمثل التي ارتقى إليها الإنسان بطبيعته الإنسانية المجردة من التبعية الطائفية الطبقة حيث أن الإنسان قد تخلص بفضل عوامل التطور والتفاعل من العديد من التصورات والمفاهيم الخاطئة، وبات لديه اقتناع راسخ حول تطابق العناصر الطبيعية وتشابه الحاجات الحيوية لأفراد البشرية جمعاء، مهما اختلفت أماكن تواجدهم وانتماءاتهم الحضارية، فقد أصبح الفكر الإنساني المتطور يميل أكثر إلى الموضوعية العلمية، ويعالج قضايا الإنسان على أساس قيمته الإنسانية المشتركة، ويدعو بإلحاح إلى ضرورة ترقية الفرد وحماية حقوقه الأساسية حيثما وجد.

• **التعددية التربوية**:

ترتبط التعددية التربوية بالفكرية؛ من حيث أن التفكير مصدر الأنشطة الاجتماعية المختلفة، وبالتالي تعد المرجعية الفكرية في المجتمع بمثابة العقل المدبر في الإنسان، ومن ثم تكون هي الضابطة لحركة الفعل والتفكير التربوي،

ومن ثم تنعكس التعددية الفكرية في المجتمع على الفعل التربوي والفكر التربوي، وهذه التعددية إذا كانت انعكاسا للتنوع في المناقشات والاجتهادات والحوارات التي تثري الثقافة والمجتمع ولا يهدف للاستقطاب والإقصاء والتشويه، إذن إن القضية المثارة في هذا الصدد ذات طبيعة مزدوجة، ترتبط أولا بالكيفية التي يدخل من خلالها الفرد، في عملية تواصل مع الأفراد المنتمين إلى الفكر المغاير. وهذا الوجه يمثل الأساس في طبيعة النمط التربوي السائد بصفة عامة في المؤسسة التربوية، بحيث يمكن اعتبارها بمثابة أصل المشاكل في الميدان التربوي، مادامت التربية في حد ذاتها ظاهرة تواصلية قبل كل شيء. كما ترتبط ثانيا بالمجال المفتوح أمامنا لاتخاذ المبادرة للعمل على تحويل المعطيات الأساسية لـ (للفكر) (بعبارة أخرى هل يوجد حل تربوي لتجاوز التعددية الفكرية، التي هي وكما واقع إنساني له طابع مدرسي. والصراعات الناتجة عن التعددية المعرفية، على نفس النمط والشكل وفي جميع الحالات، لأن حالة التعددية المعرفية الباسكية بإسبانيا على سبيل المثال، لا تحمل نفس العناصر التي تتميز بها التعددية الثقافية الكتالانية الإسبانية كما أن التعددية الثقافية البروتونية Bretton الفرنسية لا تتميز بنفس الحدة والعدوانية التي اتسمت بها التعددية الثقافية اليوغسلافية (بين المسيحيين والمسلمين).

- **انعكاسات التعددية الفكرية على المجتمع المصري**:

اتسم المجتمع المصري بنمط المركزية المفرطة، والتي وإن كانت تتناسب مع الظروف الموضوعية خلال مراحل تاريخية معينة إلا أنها لم تعد تتلاءم مع ظروف العصر الجديد، بل أنها صارت مصدرا لإنتاج الأزمات الحادة في المجتمع المعاصر p p (كتاب نحو بناء الدولة العصرية)، ومبدأ التعددية لا يتحقق إلا من خلال الإيمان بوجود العديد من طرق الحياة العقلانية التي تسمح لنا بأن نعيش حياة كريمة كما يتحقق من خلال القدرة على الاختيار الحر لنمط الحياة الإنسانية الذي يناسبنا علما أن

على الصعيد الاجتماعي فكرةٌ جوهريّة، هي أنه لا يعادل قوّةَ الأفكار وصفاءها سوى إمكانيّة نشرها؛ فالفكرة مهما كانت عظيمة ومتألّقة، تكون محدودة الفائدة والقيمة إذا لم ينجح تعميمُها على أعداد كبيرة من الناس بسبب بعض الاعتبارات المتعلّقة بالفكرة نفسها q q.

وترتبط التعددية الفكرية بمحددات الهوية الوطنية حيث تمثل اللغة والثقافة والعرق أبرز القواسم المشتركة للهوية القومية، كما هو الحال مع القومية العربية والقومية الفارسية والقومية التركية والقومية السلوفاكية.

وربما تتقاطع الهوية القومية مع الهوية الدينية، او تتداخل معها، اذ يمكن ان نجد مجتمعات عديدة ذات انتماء قومي واحد، كما هو الحال مع بعض الدول العربية لكن افرادها ينتمون الى ديانات متعددة، وفي ذات الوقت هناك مجتمعات متعددة القوميات ولكن تجمعها هوية دينية واحدة، وان اختلفت الانتماءات المذهبية والطائفية.

ولعل تبلور مفهوم الهوية القومية ارتبط بازدهار الدولة القومية في أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهبت رياح تلك الافكار والمفاهيم نحو

الشرق العربي والاسلامي بصورة تدريجية لتؤدي في اواخر النصف الاول من القرن العشرين الى صعود الحركات والتيارات ذات التوجهات القومية، التي اساءت للقومية العربية اكثر مما دعمتها وعززت وجودها. والإطار الديني هو في واقع الامر اوسع واقوى من الإطار القومي بكثير، بعبارة اخرى يمكن القول ان فضاء الهوية الدينية اوسع من فضاء الهوية القومية وأكثر ديمومة، بيد ان التداخل بينهما لا ينفي حقيقة وجود نقاط توافق والتقاء بينهما ترجح كفتها على نقاط التقاطع والافتراقII.

ومن ثم كانت أهم الانعكاسات السلبية للتعددية الفكرية على المجتمع المصري ما يلي:

• ١-**الهوية المذهبية** :

قد تكون الهوية المذهبية من القضايا الأكثر إثارة للجدل والنقاش عند الحديث عن الهوية الوطنية، حيث أن الانتماءات والتوجهات المذهبية غالبا ما تؤدي الى حدوث اختلافات كبيرة وكثيرة في الهوية القومية والهوية الدينية، وتتضح مصادقات هذه الظاهرة في مختلف المجتمعات والدول، التي يعتنق أبنائها ديانات مختلفة كالإسلامية والمسيحية واليهودية والبوذية وغيرها، وهي ذاتها التي تعد مجتمعات ودول متعددة القوميات، كما في الهند والصين والعراق فالهند "تمثل نموذجا معقدا من التنوع مع وجود مجموعات كبيرة جدا متنوعة من حيث اللغة والاثنية (كالناطقين بالهندوسية والبنغالية والتاميلية، الخ)، بالإضافة الى مجموعات صغيرة كثيرة، تعرف أحيانا بالقبائل، كما تشكل الصين موطنا للعديد من اللغات والأقليات الأثنية، وتؤمن كلتا الدولتين العملاقتين نوعا من الاجراءات للتوفيق بين هذه العناصر المتنوعة، وفي العالم العربي يعد العراق نموذجا مناسبا لتقريب الصورة عند الحديث عن الهوية المذهبية، فهذا البلد المتعدد القوميات، والديانات، حيث هناك أقليات قومية ودينية عديدة، فيه تنوع مذهبي وطائفي، كان في أوقات كثيرة بمثابة صاعق التفجير للصراعات والأزمات السياسية والحروب الداخلية والخارجيةSS.

ولعل قراءة ومراجعة مجمل الصراعات في المنطقة العربية والإسلامية في العصر الحالي، توصلنا إلى مدى استغلال الخلفيات المذهبية والطائفية لتوجيه الأمور بمسارات معينة محددة عبر أجندات أطراف التقت مصالحها عند نقطة الفتن الطائفية، ولعل صورة الحرب الاهلية في لبنان (١٩٧٥- ١٩٩٠) نموذجا ومثالا واضحا على ذلك، والحرب العراقية- الإيرانية، رغم تصويرها على انها صراع بين قوميتين (عربية وفارسية)، كما أن صراع الحكومة اليمنية مع الحوثيين، والفتن الطائفية التي أثيرت في العراق بعد الاطاحة بنظام صدام، وبلغت ذروتها في عامي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦، ما هي إلا أمثلة حية وواقعية. ومازالت هناك محاولات لإبراز النزعات والسلوكيات والثقافات العشائرية- القبلية في المجتمعات، وإبراز الطائفية بكل أشكالها، والاشكالية هنا تكمن في إمكانية تلك المجتمعات لصياغة وبلورة هوية وطنية شاملة ومتعددة الابعاد والعناوين تنصهر في بوتقتها الهويات الفرعية دون ان تلغي خصوصياتها. ويعد النموذج المصري نموذجا للتسامح والتعايش الديني، فقد تعايشت الديانتان المسيحية والإسلامية أجيالا وأجيالا ، واكتشفتا أن هناك مسطحا مشتركا ممتدا وكبيرا بينهما،

فالمبادئ الأخلاقية، ومفاهيم الحرام والحلال، والعلاقات الإنسانية، وأسس الفضائل كلها واحدة تقريبا، ومن بين كافة النصوص في الإنجيل والقرآن، اختار المصريون النصوص المشتركة، وبالذات التي تؤكد على الوحدة الوطنية، وفي الوقت نفسه وبذكاء تحاشوا النصوص التي تكفر أحوالهم أو تحض على كراهية الدين لهم، وهكذا تكونت حضارة دينية تدعو إلى التآخي، والتواد والتراحم، والتسامح والتسامي t t

ومن ثم تميزت الهوية المصرية التي جمعت سمات وخصائص الهوية العربية والإسلامية والفرعونية والقبطية مرورا بكل صور الحضارات، والتي رغم هذه التعددية فإنها برزت بسمات خاصة استمرت حتى الآن بأصالتها، ومن ثم كان تفعيل هذه الهوية شيء أساسي في عملية النهوض الحضاري، فهويتنا قد تشكلت–عبر تاريخنا حتى أصبحت منا وأصبحنا منها؛ ولذلك لا يمكن أن تتم عملية التنمية من خلال برنامج اقتصادي وسياسي عام، فالبشر لا يتحركون في إطار العام، وإنما يتحركون في إطار الخاص الذي يعرف احتياجاتهم، ويأخذ في الاعتبار توجهاتهم وأشواقهم وأحزانهم.

وبناء على ما سبق يرى بعض الباحثين إن ظهور الهوية في القرن العشرين مسألة لها دلالة خاصة؛ فهي حماية للإنسان ضد عمليات التنميط الزاحفة، وضد العولمة التي كانت توجد بشكل جنيني في بداية القرن وأصبحت الآن مسيطرة ومهيمنة. إن الهوية في الواقع شكل أساسي من أشكال المقاومة الفكرية شرط ألا تتحول إلى" غيتو "يدخل فيه الإنسان ويتخندق. هذا لا يعني أنٍ تمسكنا بهويتنا العربية الإسلامية سيفصلنا عن الآخرين، ويمنحنا حقوقا مطلقة كما فعلوا في ألمانيا النازية وفي التشكيل الاستعماري الغربيuu.

وثمة علاقة بين الهوية والإبداع، فالإنسان الذي لا هوية له لا يمكنه أن يبدع، لأن الإنسان لا يبدع إلا إذا نظر للعالم بمنظاره هو وليس بمنظار الآخرين، لأنه لو نظر بمنظار الآخرين، أي لو فقد هويته، وأصبح عقله في أذنيه، فإنه سيكرر ما يقولونه ويصبح تابعا لهم، كل همه أن يقلدهم أو أن يلحق بهم، ويبدع داخل إطارهم، بحيث يتحقق إبداعه من داخل تشكيلهم الحضاري، كما يحدث لكثير من العلماء العرب الذين يهاجرون إلى الغرب. وهذا ما أدركه "لورد ما كولي" السياسي والكاتب الإنجليزي؛ ففي خطاب لهٍ للبرلمان الإنجليزي في ٢ فبراير ١٨٣٥ قال" :لقد سافرت في الهند طولا وعرضا، ولم أر شخصا واحدا يتسول أو يسرق !لقد وجدت هذا البلد ثريا لدرجة كبيرة، ويتمتع أهلها بقيم أخلاقية عالية، ودرجة عالية من الرقي، حتى أنني أرى أننا لن نهزم هذه الأمة، إلا بكسر عمودها الفقري، وهو تراثها الروحي والثقافي. ولذا أقترح أن يأتي نظام تعليمي جديد ليحل محل النظام القديم، لأنه لو بدأ الهنود يعتقدون أن كل ما هو أجنبي وإنجليزي جيد وأحسن مما هو محلي، فإنهم سيفقدون احترامهم لأنفسهم وثقافتهم المحلية، وسيصبحون ما نريدهم أن يكونوا، أمة تم الهيمنة عليها تماماvv." ومن ثم كانت التربية مدخل الفكر الاستعماري للسيطرة وهزيمة الآخر من خلال القولبة الذهنية لأبناء المجتمع .

• ٢-القولبة الذهنيّة :

يقصد بالقولبة الذهنية طبقا لرؤية البحث الحالي الاكتفاء بما اكتسبه الفرد من معارف ومعلومات وتعطيل العقل عن الفكر ورفض استقبال أي أفكارا جديدة، وتتعدد أشكال هذه القولبة بتعدد نوعيات الأفكار والمداخل التي يتم استخدامها في إحداثها، ويميل المقولبون ذهنيا إلى الصرامة والعناد، والصراحة المتناهية التي قد تكون في كثير من الأحيان في غير موضعها الصحيح، والميل إلى فرض أفكار غير متّفق عليها. وضعف قدرتُهم على ترويض أنفسهم للتعامل مع الآخرين، كما أن قدرتهم على تجزئة الفكرة واتخاذ مواقف متدرجة من الأفكار المطروحة أيضا محدودة. والمقولب ذهنيا لا يملك الحساسية الكافية للتفريق بين ما يشكل رؤية شخصية اجتهادية ظنية، وبين ما يُعدّ من قبيل الثابت والقطعي، وما يُنظر إليه على أنه حقيقة مستقرة، انقطع حولها الجدل. ويشكل ضعف هذه الحساسية جزءا من البنية المعرفية لكل البيئات التي ينتشر فيها الجهل والفقر المعلوماتي، يعطون للعقل دورا بارزا من أجل التعويض عن الثغرات المعرفيّة في منظومات الاستدلال لديهم. وهنا يكون من المهم التوضيح بأن العقل من غير معرفة حقيقية كثيرا ما يكون عاجزا عجزا شبه تام عن رسم الأولويّات وعن إصدار أحكام حول العديد من الأمور الجوهرية مثل: اللائق وغير اللائق، والمهم وغير المهم، والآمن والخطر، والمستعجل والمؤجل... ونقوم إلى جانب هذا بتوضيح دور المعلومات في بناء الأفكار والآراء والمواقف والاتجاهات W W.

ومن المهم التأكيد على أن التعامل مع المقولب ذهنيّا يحتاج إلى الكثير من الحكمة واللطف والحذر؛ إذ من السهل أن تزيد درجة عنادهم وتقوقعهم على أنفسهم، وذلك عند اتهامهم بالعناد أو ضيق الأفق. وقد يكون من الملائم اتباع طريقة (بلورة المزايا والعيوب) في مجادلتهم: حيث التركيز على عدة أمور جوهرية في بنية الفكر مثل: مزايا وفوائد الفكر، البراهين المنطقيّة، نقاط الضعف والعيوب. ومن المهم في التعامل مع المقولب ذهنيا أيضا حسن الاستماع، وعدم الإلحاح في الوصول إلى نتائج فورية، حيث إن فكره تكون بطريقة غير واعية، ومن ثم يتم تغييره أيضا بالطريقة نفسها، وهذه الطريقة تفتح بابا للحوار المجدي، وتخفف من لغة التحدي، كما أنها تجعل المقولب ذهنيا نفسه يعتقد أن للحوار إيجابيات، ويعترف أيضا بإمكانية وجود درجة من الصحّة والقوّة للأقوال المخالفة.

• ٣-القطيعة المعرفية بين مكونات البنية العقلية في المجتمع المصري :

كان من المظاهر السلبية للتعددية الفكرية في مصر هو حدوث القطيعة المعرفية داخل البنية العقلية للمجتمع المصري؛ حيث إن كيانات التفكير تتأثر بالمعارف والمعلومات وطبيعة الاعتقادات، كما أنها تتأثر بالظروف الطبيعية والاقتصادية الاجتماعية والثقافية والسياسية المحيطة بها، ومن ثم يحدث التفاعل بين تلك الظروف والذهنيات فتتغير أوزان ومواقع وحركة واتجاهات الكيانات الفكرية "الاعتقادات" والأفكار العامة والعلمية، وينتج عنها تأثيرات متعددة، وبتراكم التأثيرات تترابط مجموعات وتنفصل أخرى ضمن كيان ذهني، وتنشأ التكتلات الكبرى متشابهة السمات، والتي تتضمن شرائح وفئات وطبقات من المعلومات والمؤلفات، وخلال المراحل الاقتصادية الاجتماعية تتمايز

الكيانات الفكرية بعلامات ثقافية ونشاطات لها سمات مختلفة عن مراحل الظروف السابقة عليها.

كما أن الفكر التربوي يتأثر بالتراكم والقفزات والانقطاعات في الفكر العام للمجتمع، ومن أكثر هذه التأثيرات التي أحدثت قفزات أو انقطاعات في المجتمع المصري كانت الرأسمالية العالمية، والنشاط الإرهابي الديني، مما تتطلب زيادة إمكانات مواجهة أساليب التفكير الخطية الجامدة التي أدت إلى وجود القطيعة الفكرية؛ وذلك بتبني أسلوب تفكير جديد متنوع المراكز متشابك الخطوط والأدوات تقوده عملية تغيير تربوي مجتمعي لأنظمة العنف الرمزي والبدني؛ حيث إن الفكر التربوي على المستوى الاجتماعي، مسئول عن تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع وفقا للقيم والمعايير الاجتماعية الجديدة والتصورات والمفاهيم التي تتبلور نتيجة عمليات التفاعل المجتمعي.

أما على المستوى المادي، فان مظاهر تأثيره يمكن أن تتجلى في مختلف المواد والوسائل الجديدة التي تنميها التربية وتتاح للفرد في حياته العملية لمساعدته على اكتساب المزيد من المعارف والوسائل الجديدة التي تسمح له بتنمية قدراته المختلفة وتلبية حاجاته وتصحيح تصوراته وعاداته وسلوكياته الخاطئة، وتجعله بالتالي يتقدم نحو الأفضل باستمرار وهو ما يقي الذهن من حدوث حالة الجمود والانغلاق الفكري وقيود التشبث بالأحكام والتصورات الخاطئة، ويجعله على استعداد دائم لتمحيص المعارف والتصورات التي يتوصل إليها، والعمل على إعادة تصحيحها، لكن من الواضح أن إمكانية التطور وقابلية التغير تتعارضان مع الاعتقاد القائل بحتمية ثبات الأفكار والأمور على حالها بشكل دائم، ذلك أن مبدأ التطور يتضمن قابلية التحول والتصحيح المستمر، ويفترض احتمالات التغير الملائم بالنسبة لنمو الأفكار والتصورات وتركيبها على المستوى الذهني.

لكن قابلية التحول والتغير التي يجب أن يتضمنها الفكر التربوي لا تنفي إمكانية استقرار الأفكار والتصورات المعبرة عن الحقائق البديهية، غير أن هذا الاستقرار يظل مع ذلك قابلا للتغير بعقل التطور، ولا يدوم إلا إذا أكدته وحافظت عليه عمليات التمحيص والتصحيح المستمرة؛ فالفكرة الأساسية التي يجب إقرارها في هذا المقام، تكمن في ارتباط نمو الفكر التربوي بحركة التطور، حيث أن الفكر التربوي بما يجب أن يتضمنه من مثل وقيم ومبادئ نبيلة، يهدف بالأساس إلى تنمية مدارك الإنسان وتمكينه من الارتقاء والتقدم المستمر نحو الأفضل، وهذا النزوع الإنساني نحو الأفضل، ينظر للإنسان، باعتباره القيمة المثلى والهدف الأسمى، وللمبادئ الإنسانية المتمثلة في الحرية والمساواة والعدل وحياته وكرامته، وحماية حقوقه ووفقا لهذه النظرة الإنسانية يصبح السلوك الإنساني الفردي بمؤثراته، هو المعيار الأساسي لتقييم الفرد. فالسلوك الذي يقوم به الإنسان هو الذي يجعل أفراد الجماعة التي ينتمي إليها يحكمون عليه (إيجابا أو سلبا) وذلك حسب معايير الفضيلة والرذيلة السائدة في الجماعة X X.

النموذج التربوي المقترح للمجتمع المصري في ظل التعددية الفكرية:

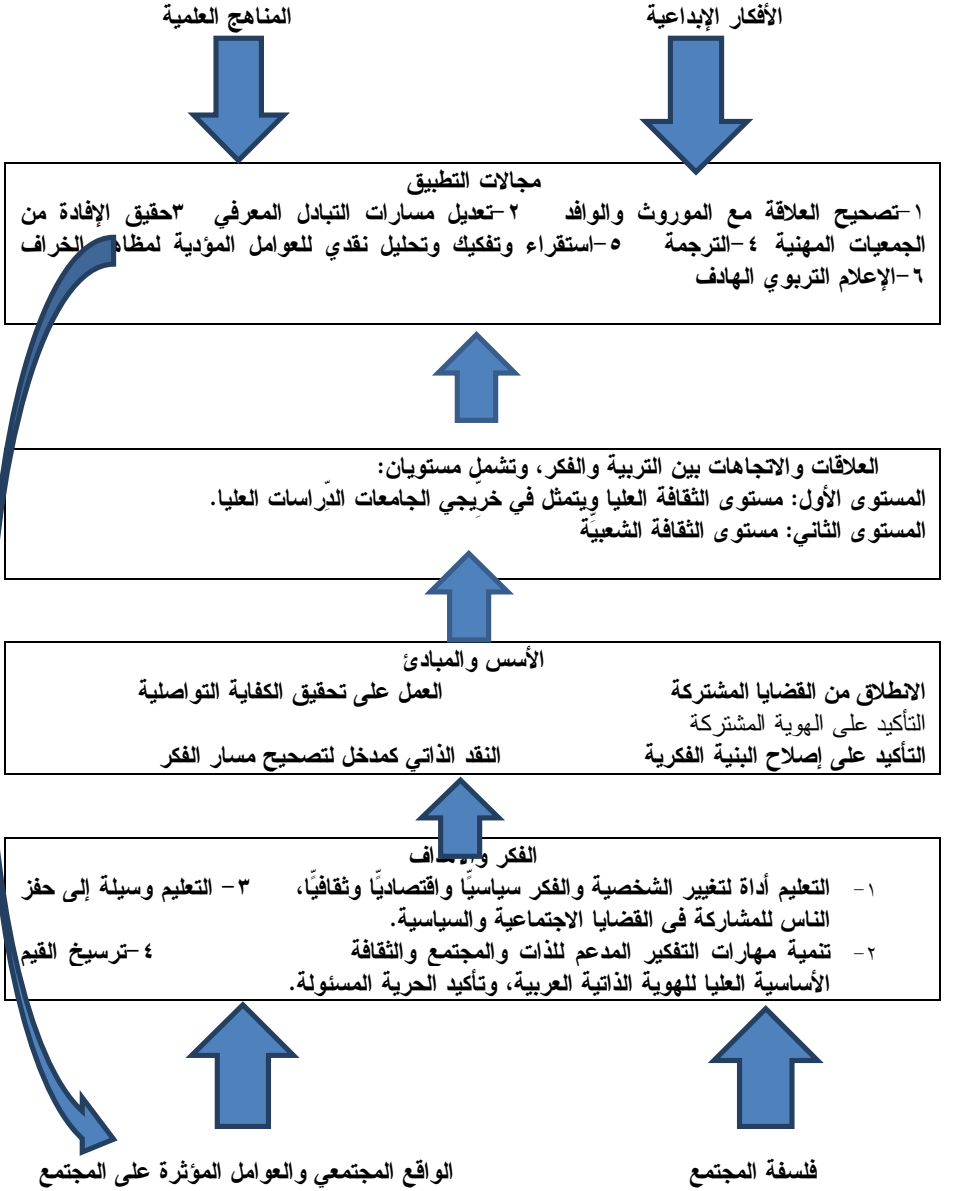

من أهم خصائص النموذج أنه يتميز بإجراءات ترسم خطة للتطبيق العملي في مجال ما، وتعد النماذج النقدية من أهم أنواع النماذج، وهي التي تبنى على أساس أن غاية التعليم هي «التطوير» وليست الثبات الثقافي ولا الاستسلام

للأوضاع القائمة السيئة سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا. وحيث إن منطق التعددية وحتمية التغيير يعني ان عمليات التعليم تتحمل إحداث تحولات وتغييرات واضحة في حياة الفرد الذهنية والاجتماعية بصفة عامة. فعلى المستوى الذهني(مثلا) تؤدي نتائج التقدم العلمي ومختلف الاكتشافات والاختراعات التي توصل إليها الإنسان، الى توسيع معارفه وتجديد أفكاره وإثراء خبراته في شتى المجالات، وتمكنه من اكتساب المزيد من المعارف المعمقة، واكتشاف المعطيات والحقائق الجديدة المتعلقة بطبيعته الإنسانية، وعناصر الوجود الذي يحيط به، من شأنه ان يساعده في تصحيح تصوراته وتدارك أخطائه وتنمية قدراته، كما حدث تطور على مستوى الفكر الإنساني نحو القيم والمثل الإنسانية الشاملة، حيث أدى التطور الحضاري والتكنولوجي، المتعدد الجوانب الذي عرفته الإنسانية، خلال القرن الماضي وشمل مختلف المجالات المتعلقة بحياة الإنسان وتطلعاته واهتماماته، والتي بفضلها حقق الإنسان نجاحات باهرة في ميادين البحث العلمي وتطبيقاته المتعددة الاستعمالات - وتعددت إمكانيات انتشار المعرفة وتبادل الخبرات والمنفعة بين الأفراد والمجتمعات، رغم مظاهر الإجحاف والتسلط وانعدام التوازن التي سادت العلاقات بين الشعوب والأمم.

- **المدخل لبناء النموذج (مرتكزات النموذج):**

يتشكّل أيّ مجتمع طبقا لشكل العلاقات القائمة بين مكوناته، وتصور مستقبل المجتمع يُبنى على شكل العلاقات المحتملة بين جزيئاته. يتحكم في تكوين هذه العلاقات ومستقبلها النموذج التربوي، ووفقا لأي نموذج تربوي تقوم آليات التربية بالعمليات الآتية:

العملية الأولى: (فلسفة المجتمع) تكوين وترسيخ (أو تبني) الأفكار المركزية والتي يمكن تسميتها بالعقيدة أو المرجعية أو ما وراء النماذج، وتتأثر هذه الأفكار المركزية بما يلي:

- قوة الايمان بصحة الأفكار التي تم اعتناقها.
- الدفاع عن هذه الأفكار ضد أي هجوم عليها.
- مدى الوجود الحقيقي على أرض الواقع، وبالتالي مدى الاحتكاك الحقيقي والعملي مع المكونات الأخرى في المجتمع.
- مدى وجود نماذج عملية تؤيد صحة الأفكار.

العملية الثانية: (الواقع المجتمعي، والعوامل المؤثرة) الممارسة طبقا لوجود نماذج إدراكية عملية ونماذج ووسائل واقعية، تثبت نجاح الأفكار المركزية وفعاليتها، هذه الوسائل العملية تضمن الاستقرار وتجذب إليها شريحة جديدة ممن ينجذبون إلى فعالية الوسائل العملية وتتأثر هذه العملية بما يلي:

- فعالية الوسائل ووجود نماذج إدراكية تحليلية وعملية.
- الوجود على أرض الواقع، وبالتالي إدراك حقيقي بوجود الآخر مع إمكانية الاحتكاك به.
- إدراك أنّ الآخر له حق في الوجود، مع الاحتفاظ بصلابة التكوين ومزيد من نضج في الأفكار.

وينقسم التفاعل مع الآخر إلى تصارع: عدم قبول لوجوده، أو تنافس: قبول لوجوده.

العملية الثالثة: وهي العملية التي يحدث من خلالها توسعات وانتشار اعتماداً على المميزات النسبية التي تحددها الأفكار المرجعية وترسمها النماذج الإدراكية ويطورها التنافس في المرحلة السابقة، ومع نضج الفكر الحركي والعملي وإدراك فكرة الميزة النسبية ينشأ وعي وإدراك كامل بالمحيط الخارجي، الذي يمكن تجاوز التنافس معه إلى التكامل معه طبقا لاختلاف الميزات النسبية، وفي تلك الحالة تصبح مساحة المرونة أكبر، ويكون الوعي في أنضج مراحله، إذ يستطيع التفريق بين الثلاث مستويات ما وراء النماذج – النماذج الإدراكية – البارا ديم ، وحينها يصبح في استطاعته مخاطبة شريحة جديدة، وتعتبر هذه المرحلة هي أنسب المراحل لحدوث تناغم بين مكونات المجتمع بناءً على ما يملكه كل مكون من ميزات نسبية.

- **خطوات بناء النموذج** :
- **أولا** : **أهداف النموذج** :

- أن يكون التعليم أداة لتغيير الشخصية والفكر سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا،
- أن التعليم أيضًا وسيلة إلى حفز الناس للمشاركة في القضايا الاجتماعية والسياسية، والانشغال بالأمور الكلية لا بالأمور بالجزئية، والميل إلى الإبداع لا الاتباع ، وتجنب الخوف من السلطة في مواقف التعامل الاجتماعي المختلفة.
- تنمية مهارات التفكير المدعم للذات والمجتمع والثقافة التي يعيش فيها وبها أفراد المجتمع، والعزوف عن تقديس ما ليس مقدسًا.
- ترسيخ القيم الأساسية العليا للهوية الذاتية العربية، وتأكيد الحرية المسئولة، والعدل في فرص التعليم وفرص العمل، والتنافس في إطار التعاون لتحقيق الصالح العام، والتكافل الاجتماعي لا الفردية المفرطة.

- **ثانيا** : **الأسس والمبادئ التي يجب أن تنطلق منها التربية**:

- الانطلاق من القضايا المشتركة وتنمية الشعور المشترك بالتضامن والثقة المتبادلة بين الأفراد: وهي الشروط التي تؤمن الانسجام والتماسك والوحدة الموضوعية وتحوّل الموضوعات الفرعية والأجزاء المكونة إلى كلية ماثلة في مجموع علاقتها بالأجزاء المكّونة لها حتى يتحوّل إلى منطلق ومنطق للتفكير والاستدلال المؤسسّ على الصيرورة والتحوّل في الفكر التربوي، وأهمها y y:
  - ✓ الانطلاق من الأهداف الواضحة وتحقيقها ما أمكن وهي الحقيقة الموضوعية ومقاربتها والتعبير عنها ثنائيا أو جماعيا ورفض التحيز والاحتكار والمغالطات والابتعاد عن المجادلة والمغالطة بالمفاهيم أو تحريفها عن معانيها الحقيقية المباشرة.
  - ✓ طرح المواضيع والمشاكلات التي تهمّ المجتمع لإفساح المجال للعقل النقدي والمنطق التحويلي لتداولها والتوصل إلى مقاربات مرضية.
  - ✓ تحديد الموضوع وأبعاده النهائية وعدم الانجرار إلى موضوعات أخرى ثانوية أو جانبية وحصر الفكر في الموضوع المركزي.

- ✓ التركيز على جوهر ومضمون ونبذ الشكليات والطقوس، أي تخليص من عبء التاريخ ممثلا بالمناظرة وعلم الكلام وهي قضية خلافية في الفكر المعاصر.
- العمل على تحقيق الكفاية التواصلية: تنفرد كل ثقافة بمناهج وآليات وأخلاقيات تعمل من خلالها على تصريف الحوار وأداء التواصل انطلاقا من منظومات فكرية منطقية تعمل على صياغة المعايير والقيم كما تساهم في تشكيل منظومات التعبير والسلوك، وفي نفس الوقت تحمل بعدا معرفيا وآلية معرفيةZZ
- ومهما يكن، فإن السلوك الإنساني بمفهومه الشامل ومؤثراته، هو الذي يمثل القاعدة الأكثر موضوعية لتقدير الأفراد ومنحهم القيمة الاجتماعية اللائقة بكل منهم، وإذا كان صحيحا أن ثمة عدة عوامل تتمثل في الثروة والوجاهة والسلطة، تتدخل لتمكين الأشخاص من اكتساب مكانة اجتماعية معينة ،فإن هذه المكانة الاجتماعية لا تعبر بالضرورة عن قيمة اجتماعية حقيقية لصالح هذه المكانة، إلا إذا كانت مرتبطة بسلوك اجتماعي له تأثيره الإيجابي على الآخرين وينال رضا واعجاب معظم أفراد الجماعة البشرية التي ينتمي إليها ويتفاعل مع أفرادها، وذلك أن الجماعة هي التي تمنح القيمة الاجتماعية للفرد وفقا للقيم والمعايير السائدة فيها، وعلى أساس ما يصدر عن الفرد من سلوك.
- التأكيد على الهوية المشتركة من خلال التأكيد على القيم المشتركة كالحرية والمساواة والعدالة لكونها القيم الجوهرية التي توفر البناء الفكري لتعامل الناس بعضهم مع بعض أفراد وجماعات من جانب والتعامل المتبادل بين الأفراد والجماعات وبين مؤسسات المجتمع
- التأكيد على إصلاح البنية الفكرية والملاءمة للأصول الثقافية وبنية القيم لأنها أساس إصلاح البنية السياسية والاقتصادية والعلمية والتشريعية والتعليمية (ضرورة وجود بعض القواعد الثقافية المشتركة التي يسهم فيها الكل، وضرورة توافر إطار مؤسسي وقانوني تتبناه الجماعة على نحو واضح وصريح ضمن أعراف دولية.
- ضرورة أن تتقاسم الأغلبية القدرة والاستعداد للوصول إلى معايير والالتزام بها واعتبار ذلك هو المفتاح الرئيسي للتفاهم aaaوتعني أن كل فكرة أو ممارسة أو نموذج من الفكر يجب أن يكون في هيكله وفي نواتجه ملائمًا للأصول الثقافية في المجتمع العربي. وفي مقدمتها :الدين واللغة. وقد قدمت أمثلة _ في موضع سابق _ لبعض الأفكار والمفاهيم التي تتناقض تناقضًا حادًا مع أصول المذهبية، واجبات التربية في ترسيخ الهوية في ظل التعددية الفكرية: التربية هي القادرة على إرساء قواعد التضامن الاجتماعي في مجتمع متنوع فكريا بما يكفل احترام مكونات هذا التنوع والتكيف معها، من خلال توليد الشعور بالانسجام أو التطابق النفسي بتطبيق الفكر المؤسسي الذي يجمع المنتمين لتوجهات فكرية مختلفة والجمع يكون على المستوى الشخصي والمستوى الاجتماعي.
- النقد الذاتي كمدخل لتصحيح مسار الفكر: إن التربية العربية مسئولة عن إرساء تقاليد القدسية عن المفاهيم والمسلمات الفكرية، إن نقد الفكر العربي

يجب أن يبدأ لا من نقد هذه الأيديولوجيا أو تلك، ولكن من نقد النظام الثقافي: على أساس أن الثقافة ليست الايديولوجية ولكنها بالعكس هي قبل كل شيء حرية التعبير الذي يسمح لكل ايديولوجيا بالحياة والنمو وللعقل العام بالتطور والتقدم المستمرين إن هذه الدعوة صحيحة جزئيا وصحيح أيضا – في تقديري – الارتقاء بعملية النقد إلى المستوى الذي يسمح بالتخلص من تبعية الآخر فكريا وحضاريا كشرط رئيسي لبدء النهضة، فلا يمكن فصل الثقافة عن الأيديولوجيا، فالنظام الثقافي نتاج ومرآة للأيديولوجيا b b b. يتطلب الفكر لغة نقدية تداوليةٍ بعيدة عن الحدية والتجريد التي تعقد الأمور وتزيدها صعوبة، خصوصا ما يتعلق بدراسة الإشكاليات أو الثنائيات الضدية.التقيد بالبراهين العقلية والمنطقية في إثبات حجة أو نقض أخرى وعدم الاعتراف بالفرضيات الذاتية الخاصة كنظريات أو براهين موضوعية.

- **ثالثا : العلاقات والاتجاهات بين التربية والفكر**

إن تصور مستقبل المجتمع يُبنى على شكل العلاقات المحتملة بين الجزيئات المكونة له، وشكل تلك العلاقات ينبني علي وجود وصحة (الافكار المركزية – الوسائل التفعيلية – الميزات التنافسية)، وهذا الوجود مرتبط بمرحلة النمو الفكري والحركي التي يمر بها المجتمع، وهنا تتضح آليات التربية في إقامة العلاقات مع الفكر (العام) في المجتمع، ويجب أن يتم ذلك على مستويين المستوى الأول: مستوى الثقافة العليا ويتمثل في خرّيجي الجامعات وطلاب الدّراسات العليا، ومن قاربهم. وتكزن التربية هنا مسئولة عن تناول المسائل الدقيقة والقضايا الفرعيّة، والبراهين المعقّدة وقد تستخدم هنا المفاهيم التي قد لا تكون مألوفة. والمستوى الثاني: مستوى الثقافة الشعبيّة: وهو يتطلب تعليم تنويري يركِّز على الأساسيّات، وعلى الجوانب الوجدانية في التأثير، وتكون تعبيراتُه سهلة الفهم، ولا يركز على المسائل الفرعيّة، كما أنه لا يطرح الرؤى الاستراتيجية والقضايا الكبرى التي يشعر معظمُ الناس أنهم غيرُ قادرين على الإسهام فيها، لكنه يعمل على زيادة الوعي، والبعد عن الانحرافات، ويتطلب وذلك ما يلي:

- التكافؤ والمساواة في الفرص التعليمية فلا يعقل أن يكون الفكر ومنتجاً في الوقت نفسه والتباين والتمايز السياسي والمثقف تباين المنزلة والقوة.
- أن يولد التعليم استدلالا تلقائيا مقصودا بجعل الحقائق تتوالد تباعاً بأسلوب منطقي
- إخضاع فرضيات التعليم لتقويم مستمر للتخلّي عن الأفكار التي يتثبت بطلانها وإفساح المجال لاختبار فرضيات أخرى يمكن أن تسهم في البناء الفكري.

ومن المهم التأكيد في هذا السّياق على أن تكوين الفكر أو التأثير عليه يحتاج إلى سياسات وبرامج وأساليب وأدوات ينبغي توفيرُها من أجل النُّهوض بجوانب الحياة المختلفة؛ فالمطلوب أن ننتقل من (يجب) إلى (كيف)، ومن (المبادئ) و(الكلّيّات) إلى (الخطط) و(البرامج) و(الكيفيّات)، فالناس يحتاجون حاجة ماسّة إلى من يدلّهم على الطريق، ويساعدهم على المضيّ فيه، ويوفِّر لهم الأدوات التي يمكن أن يستخدموها في كلّ ذلك.

مـن المهـمّ أن يـدرك التربويـون أن هنـاك عقبـةً كـؤوداً تحـول دون تحقيـق التواصل بين التربية والفكر العام في المجتمع، وتلك العقبة تتمثّل في إعراض معظم الشباب عن القراءة والاطِّلاع. ومن الخطأ الكبير الاعتقاد بأن جميع الأفراد يميلون بطبعهم إلى تكبُّد مشاقّ التعلُّم والتفكير، فحبسُ النفس على معالجة الأفكار، والجلوسُ الساعات الطوَيلة من أجل زيادة المعرفة الشخصيّة..، يحتاجان إلى تربية وبيئة ملائمة وإلى مجاهدة للنفس C C C. إذا ما الفائدة من الكتب العظيمة إذا كان الناس الذين نظنُّ أنهم يحتاجون إليها معرضين عنها؟!

- **رابعا** : **مجالات التطبيق**:

تعني التربية في البحث الحالي إكساب أفراد المجتمع القدرة على إعادة بناء المعرفة بشكل ذاتي: وهذا يتطلب تكوين الشخصية تكوينا تاما على جميع المستويات المادية والفكرية والأخلاقية والعاطفية والاجتماعية والفنية. أما هدف التربية الذي يركز عليه البحث الحالي هو أن تضمن التربية نوعا من الترابط الاجتماعي، من خلال تزويد جميع الأفراد بالحد الأدنى من التكوين المشترك، ومن المعنى السابق للتربية وهدفها يتحتم إيجاد قدر من التوازن، فيما بين المتطلبات الاجتماعية، ومتطلبات النمو الشخصي لدى الفرد، وهذا التوازن يرتبط بلغة الفكر والمطابقة بين العقل والواقع والتي تمكن التوافق على معناه ودلالته وبهذه المواصفات يكتسب قدرة فعلية على وتعميق الأفكار المطروحة وتحويلها من مستوى التعرف إلى مستوى المعرفة والتشارك ومن ثم تتولد الحقائق الجديدة.

والنموذج التربوي الحالي يهدف إلى التحرر من الجمود الفكري والاعتقادات الخاطئة، وتبني الأفكار والتصورات العلمية الصحيحة، واتباع المناهج الرشيدة في السلوك، وكل هذا من شأنه ان ينعكس على حياة الفرد العملية، حيث يقوم بتغيير أنماط حياته، والعمل على تحسين أوضاعه باستخدام ما توصل اليه من وسائل وتصورات جديدة، كما يهدف إلى إيجاد الآلية الأمثل لتوليد الشعور المشترك لدى الأفراد بالانتماء للمجتمع وتكوين مرجعية واحدة، وذلك من خلال ما يلي d d d:

- دعم القيم الأخلاقية بتجسيدها في قوانين تدعم التطور الاجتماعي والاقتصادي والعلمي.
- مراجعة وترقية الفكر على المستوى العام (الشعبي) في العديد من نطاقات المعرفة والتدبير الاجتماعي والسياسي والديني.
- تنمية حس العدالة، ويعني القدرة على فهم حقوق الآخرين واحترامها، ويعني اعتدال الفرد في طرح مطالبه، وتقتضي العدالة أن تتاح الفرص أمام كل فرد ليكون فاعلا إذا أراد وذلك بإزالة أية معوقات اقتصادية أو اجتماعية تحول دون مشاركة الجماعات المحرومة
- التسامح: تعني الطريقة التي يجب التعامل بها مع المخالفين، والتسامح يعني أيضا أن نتعامل مع الآخرين على أساس التركيز على الإيجابيات، ومن ثم يجب عدم التحيز والمحاباة حتى وأن كان الآخرون يتعاملون على أساس التعصب والأحكام المسبقة.

ويرتبط ما سبق مع الإجراءات التطبيقية الآتية:

- تصحيح العلاقة مع الموروث والوافد: فالمحتوى التربوي يجب أن يجعل الفكر محررا من سيطرة الآخر، ويعمل على بناء الانسان، وذلك لن يتم إلا إذا كان للفكر نظرته الثابتة تجاه الذات والآخر، فالتحرر النسبي من المرجعية التراثية يضمن الاتصال بالواقع كما يضمن الإفادة من خبرات الماضي الأمر الذي يحول دون تحول الوافد إلى آلة لتدمير البنى الاجتماعية والفكرية في المجتمعات العربية والإسلامية.
- إن تصحيح العلاقة مع التراث والوافد تبدأ بتصحيح أساليب تناول كل منهما، فتناول التراث يفترض أن يقوم على أساس البحث والنقد لا التسليم والقداسة، لأنه ليس دينا كله، فقد اختلط باجتهادات البشر وحوادث تاريخية وممارسات وعادات اجتماعية بتفاوت انطباقها مع تعاليم الدين.كما أن التخلص من سلطة الوافد الحضارية يبدأ بالتخلص من المرجعية الفكرية والثقافية، فالفكر لا يقوم إلا على أساس الفلسفة النظم المعرفية التي تمثل البنى الأصيلة للمجتمع، وليس الاحتكام إلى نقد منطق التسليم لدى التراثيين مبررا للاغتراب أو التماهي في سلطة الآخر.
- تعديل مسارات التبادل المعرفي عن طريق الإعداد الجيد لمن يقع عليهم اختيار الابتعاث للدراسة فيكون التأهيل الفكري والثقافي قبل التأهيل العلمي، عليمًا بغايات التربية ونظرياتها وممارساتها، ومقياس هذا الفكر يمكن الاعتماد عليه المؤهل التربوي، وهذا المعيار يستبعد الممارسات الأرستقراطية بالممارسات غير المجدية للاطلاع على التقدم التربوي. وهنا يمكن إبراز أدوار مراكز الدراسات والأبحاث الاستراتيجية، في تأهيل الكوادر علميًا ومعرفيًا وإعلاميًا وسياسيًا وسيسيولوجيا وتكنولوجيًا سواء من خلال الأنماط الفكرية، أم الفنية، أم الأدبية وذلك بتوسيع مجال الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة الانثروبولوجيا، والحضارة، والتاريخ، والفولكلور، للعمل على احترام القيم المستخلصة من الفكر والحضارة الأم، ومن ثم يتواجد التوازن الفكري
- تحقيق الإفادة من الجمعيات المهنية العربية والغربية: وذلك من خلال التركيز على الجمعيات المهنية المتميزة التي يمكن الإفادة منها في تجديد الخبرات المهنية سواء كانت هذه الجمعيات تنتمي للفكر الغربي أو الفكر العربي. ويمكن أن تتحقق هذه الإفادة من خلال حضور المؤتمرات والندوات والحصول على الدوريات العلمية، التي تصدر في مجلدات خاصة سنوية عن هذه الجمعيات.
- الترجمة: حيث يجب أن يتم اختيار الأدبيات التربوية الغربية وفقًا لمعايير ونظم وأولويات لترجمتها، وهذه الترجمات التربوية تحتاج إلى أن يتمتع من يتولاها بثلاث مهارات: إجادة اللغة التي يترجم عنها، وإجادة اللغة العربية، وأن يكون على قدر كبير من المعرفة والخبرة بدلالة المصطلحات في اللغة التي يترجم منها، وفقا لدلالة السياقات العامة والخاصة للمواد المراد ترجمتها.
- استقراء وتفكيك وتحليل نقدي للعوامل المؤدية لمظاهر الخرافة والانهزامية والطائفية لتوجيه الإجراءات التربوية نحو مجالات البنية المعرفية، والذهنية للمتعلمين.

◄◄ الإعلام التربوي الهادف، الذي يستثمر جميع أدوات الآلة الإعلامية لإيصال الرسالة الأخلاقية والقيمية، التي تمكن من تأهيل وتكوين أجيال تشعر بانتسابها الحضاري للأمة العربية والإسلامية، وإعداد الشخصية إعداداً كاملاً من حيث العقيدة والذوق والفكر والمادة، حتى تتكون العقلية الواعية

• **قائمة المراجع** :

[a] - أحمد عبد العزيز الحليبي: الوطنية وتعدد الثقافات في الفكر الإسلامي، مجلة جامعة الملك سعود، م ١٩، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية(١)، ص ص ١- ٤٨، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

[b] - عبد السلام طويل: الأمة والجماعات الفرعية: تعددية في كنف الوحدة (قراءة في كتاب التعددية الثقافية لباتريك سافيدون)، مجلة الإحياء، العدد ٣٦، متاح على الموقع الإلكتروني: www.alihyaa.ma

[c] - علي المستنير: التعددية الفكرية تنوير وإثراء لثقافة الأمة، صوت الأخدود (صحيفة ألكترونية شاملة)، ٢٩ / ٧ / ٢٠١٠ م، متاح على الموقع الإلكتروني: www.okhdood.com

[d] - وفاء لطفي: التعددية المجتمعية، متاح على موقع المكتبة الرقمية السعودية، دار المنظومة

[e] - صابر أحمد عبد الباقي: المواطنة في إطار التعددية الثقافية، متاح عل الموقع الإلكتروني: http://kenanaonline.com

[f] - محمد محفوظ: نظرات حول الوحدة ولتعددية في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد٢٦، ١٤٣٣هـ- ٢٠١١م.

[g] - محمد عبد الغفار الشريف: التعددية الفكرية والحوار في المجتمع المسلم، متاح على موقع المكتبة الرقمية السعودية، دار المنظومة

[h] - عبد السلام طويل: مرجع سابق

[i] - السيد ياسين: أسئلة القرن الحادي والعشرين "الكونية والأصولية وما بعد الحداثة،" الجزء الأول نقد العقل التقليدي، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٦،ص ١٠٤

[j] - محمد عوض، أحمد نجم الدين: سياسات التعليم متعدد الثقافات (استنساخ المضمون وتهجين المحتوى) دراسة مقارنة بين مصر وفرنسا واليابان، مجلة التربية، العدد١٥ ، مايو ٢٠٠٥، ص ١٠٣.

[k] - بييرجر ، بيتر ل وآخرون: التحليل الثقافي، تحرير: روبرت وشنو وآخرون، ترجمة: فاروق أحمد وآخرون، مراجعة وتقديم: أحمد أبو زيد، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٣.

[l] - صابر أحمد عبد الباقي: مرجع سابق

[m] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، جـ٢، ط ٣، ١٩٨٥،ص ٦٠٨.

[n] - C.t.Oninons(ed) The Shorter Oxford English Dictionary, The Clarendon Press, Oxford, 1956, P1528.

[o] - محمد مهدي عاشور، التعددية الأثنية: إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، عمان، المركز العالمي للدراسات السياسية،٢٠٠٢، ص ٢٠.

[p] - خالد عبد الله الميزيني: التعددية الفكرية في الجهاز المفاهيمي، متاح على الموقع الإلكتروني: ebn-khaldoud.com

[q] - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ص٣١٧.

[r] - وفاء لطفي: مرجع سابق

[s] - أحمد صدقي الدجاني: التعددية السياسية في التراث العربي الإسلامي، في: ندوه "التعددية السياسية في الوطن العربي"، ٢٦- ١٩٨٩/٣/٢٨، منتدى الفكر العربي، عمان

[t] - يُنظَر :مقال بعنوان :الجماعات الإسلامية بين قَبول التعددية ورَفضها، د .محمد الرميحي، ضِمن مجلة الكويت، بتاريخ: 2005/9/1م.

[u] - مركز التنوير المعرفي: النزعة العالمية للتعددية السياسية، ورقة بحث مقدمة إلى منتدى التعددية السياسية الذي نظمه مركز التنوير المعرفي بالخرطوم، متاح على الموقع الإلكتروني: http://tanweer.sd

[v] - عامر حسن فياض: أسئلة التعددية والتنوع في الفكر السياسي المعاصر، ٢٠٠٦، متاح على الموقع الإلكتروني: www.annabaa.org

[w] - hglv[u hgshfr

[x] - صابر أحمد عبد الباقي: مرجع سابق

[y] - عبد الرؤوف محمد بدوي: الجامعة وإشكالية، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العلمي الحادي عشر لكلية التربية جامعة طنطا (التربية وحقوق الإنسان) مايو ٢٠٠٧ ص ٦٨)

[z] - عبد الله عبد المنعم العسيلي: التعددية والتعايش الثقافي في ضوء الشريعة الإسلامية، ٢٠١٢، متاح على الموقع الإلكتروني

[aa] -Michael Werner: Liberalism Pluralism and Multiculturalism in the Twenty-First Century: Robert B. Tapp,ed., Multiculturalism ;Humanist Perspectives, Humanism Today; v. 14, New York, Prometheus Books, 2000, p.91.

[bb] - جيلالي بوبكر: الفكر العربي المعاصر (المدلول والمصادر)، متاح على الموقع الإلكتروني: www.maakom.com

[cc] - انظر: - عبد العزيز التويجري: كلمة في افتتاح قمة الأديان العالمية والتقليدية، متاح على الموقع الإلكتروني: www.un.org

- حسن عز الدين بحر العلوم: التعددية الدينية في الفكر الإسلامي، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ٢٠١١.

[dd] - عبد الله عبد المنعم العسيلي: التعددية وحق الاختلاف من منظور إسلامي ودور الجامعات في تنمية ذلك،

[ee] - غوستاف لوبون: الآراء والمعتقدات، ترجمة: عادل زعيتر، كلمات عربية للنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٧.

[ff] - يمكن مراجعة كتاب الآراء والمعتقدات ل غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر، كلمات عربية للترجمة والنشر القاهرة، ٢٠١٢.

[gg] - جلال الدين محمد صالح: الإرهاب الفكري: أشكاله وممارساته، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٨، ص ١٠٥- ١٤١.

[hh] - محمد حلمي عبد الوهاب: جدالات الوحدة والتعدد في الفكر الأصولي المعاصر، جريدة الشرق الأوسط، الثلاثاء ٢١ جمادى الثاني ١٤٣٢هـ - ٢٤مايو ٢٠١١م.

[ii] - بيير سيزاري بوري وسأفير يوماريشيليولي: أخلاق كونية لثقافات متعددة، ترجمة: أحمد عدوس، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٥.

[jj] - جورج غورفيتش: الأطر الاجتماعية للمعرفة، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٨،ص ١٩.

[kk] - محمد حسين أبو العلا: حرب الأفكار وتغريب الهويات، متاح على موقع المكتبة الرقمية السعودية، دار المنظومة

[ll] - عبد الكريم بكار: تحرير الوعي، متاح على الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبد الكريم بكار

[mm] - محمد محفوظ: نظرات حول الوحدة والتعدد في الفكر الإسلامي المعاصر، ثقافتنا للدراسات والبحوث العدد السادس والعشرون ١٤٣٢ ٢٠١١، ص ٩٧، ٩٨.

[nn] - إبراهيم السيد العويلي: معالجة تحليلية للمنهجية العلمية في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والتربوية(بين التعدد والتوحد) وأثر ذلك على البحث التربوي، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد٥٣، الجزء الأول، سبتمبر ٢٠٠٣،ص ٣١٧.

[oo] - محمود أمين العالم: مفاهيم وقضايا إشكالية، ص١١١

[pp] - محمد سعد أبو عامود: نحو بناء الدولة العصرية، مجلة الديمقراطية، السنة ١٢، العدد ٤٧، يوليو ٢٠١٢، ص٣٨.

[qq] - عبد الكريم بكار: أمة مستنيرة

[rr] - راجع في ذلك: - منى أبو سنة: محاضرة ضمن مؤتمر سياسة التعليم والتعددية الثقافية في الألفية الثالثة، يناير ٢٠٠٠، متاح على موقع المكتبة الرقمية السعودية، دار المنظومة

[ss] -

[tt] - عادل الجبوري: الهوية الوطنية والهويات الفرعية في المجتمع التعددي، http://albadee.net

[uu] - عبد الوهاب المسيري: أسئلة الهوية ٨ - ٢٠٠٨٥ http://www.elmessiri.com

[vv] - المرجع السابق

[ww] - عبد الكريم بكار:

[xx] - زاهر زكار: نمو الفكر الديمقراطي وارتباطه بحركة التطور البشري،٢٠١٢/٢١/٠٦ متاح على الموقع الألكتروني: http://www.minshawi.com

[yy] - المرجع السابق

[zz] - عبد السلام عشير: الكفاية التواصلية (الوحدة والتعدد)، مجلة فكر العلوم الإنسانية والاجتماعية، فاس، العدد ٦، يونيو ٢٠٠٧،

[aaa] - أحمد نجم الدين عيداروس، ومحمد أحمد عوض: التعليم متعدد الثقافات بين النمذجة التنظيرية وإشكالية الممارسات (دراسة مقارنة بين مصر وفرنسا واليابان) متاح على موقع المكتبة الرقمية السعودية، دار المنظومة

[bbb] - فؤاد إبراهيم: إشكالية الإطار المرجعي في الفكر العربي المعاصر: قراءة نقدية، مجلة الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، العدد ٧، ١٩٩٥، متاح على الموقع الإلكتروني:

[ccc] - عبد الكريم بكار: مرجع سابق

[ddd] - بلال خلف السكرانة: دور الجامعات في ثقافة الحوار والتسامح، كلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة الإسراء الخاصة

****